جامعـــة مؤتـــــــه
عمادة الدراسات العليا

الوزير العباسي علي بن عيسى
دراسة في حياته وعصـــره
(245-334هـ/ 859-945م)

محمد سلمان الزيديين

رسالة
مقدمة إلى
عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على
درجة الماجستيــر في التاريخ قسم التاريـــــخ

جامعة مؤته، 2003

جامعـــة مـــؤتة — بسم الله الرحمن الرحيم

عمادة الدراسات العليا — **اجازة رسالة جامعية**

تقرر اجازة الرسالة المقدمة من الطالب محمد سليمان الزيديين والموسومة بـ

"الوزير العباسي علي بن عيسى، دراسة في حياته وعصره (٢٤٥-٣٣٤هـ/ ٨٥٩-٩٤٥م)"

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ.

القسم: التاريخ.

الأسم	التوقيع	التاريخ	
أ.د. تقي الدين الدوري		٢٠٠٣/٥/٢٦	مشرفاً
أ.د. احمد الحسو		٢٠٠٣/٥/٢٦	عضواً
د. محمد المحاسنة		٢٠٠٣/٥/٢٦	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. ذياب البداينــــة

الإهـــــداء

الى والديّ أطال الله في عمرهما، إلى كل من جعل الأمل شيئاً أساسياً في حياته، إلى الذي جعل من الحلم حقيقة أخي الدكتور عاطف، إلى التي حرمت من حنان الأمومة منذ نعومة أظفارها أبنة أخي عائشة، إلى إخوتي اعترافا بالفضل والجميل.

محمد سلمان الزيديين

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور تقي الدين الدوري، على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولما أولاني إياه من جلّ عنايته واهتمامه. ولقراءته فصول هذا البحث مراراً وتكراراً وحرصه على أن يخرج جهداً علمياً خالصاً.

كما أسجل شكري وتقديري إلى أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور احمد الحسو، والدكتور محمد محاسنة، وأشكر الدكتور محمد سالم الطراونة، لتفضلهما بمناقشة رسالتي، وأشكر جميع العاملين في مكتبة جامعة مؤتة لمساعدتهم لي هذه الفترة.

وشكري وتقديري إلى كل من أسدى إليّ معروفاً، أو شجعني بكلمة طيبة أو دعوة صالحة، فجزى الله الجميع خير الجزاء وهو ولي التوفيق وله الحمد أولاً وأخيراً.

محمد سلمان الزيديين

جدول المحتويات

الفصل الرابع: إصلاحاته

الفصل الخامس: المواقف السياسية

فهرس الملاحق

الملخص

الوزير العباسي علي بن عيسى
دراسة في حياته وعصره
(245-334هـ / 859-945م)

محمد سلمان الزيديين

جامعة مؤتة 2003م

اشتملت هذه الدراسة الموسومة بـ(الوزير العباسي علي بن عيسى،دراسة في حياته وعصره،(245-334 هـ/859-945م) على مقدمة وتحليل للمصادر وستة فصول،حيث تضمنت المقدمة أهمية الدراسة ودوافع الاختيار وتحليل لأهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة.

كما اشتملت الدراسة أيضا على ستة فصول، كان الأول فيها بعنوان الحياة السياسية والاقتصادية للدولة العباسة (295-334هـ/907-945م) تطرقت فيه إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية في عهد الخليفة المقتدر بالله (295 -320 هـ /907-932م)، ثم عهد الخليفة الراضي لله (320 -322هـ /932 -933م)، وأخيرا فترة إمرة الأمراء (324 -334هـ /935-945م)، والتي اتصفت بضعف مؤسسة الخلافة، وسيطرة القادة الأتراك على شؤونها، وتدخل الحريم والحاشية في إدارة الدولة، بالإضافة إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية للدولة العباسية، وتعرضها بين الحين والأخر للأزمات المالية خلال فترة الدراسة،نتيجة لبذخ الخلفاء وإسرافهم، وانفصال معظم أقاليم الدولة عن مركز الخلافة في بغداد

أما الفصل الثاني فقد خصصته لشخصية الوزير علي بن عيسى،أسمه ومولده، ونشأته، وصفاته و أخلاقه،و ثقافته، أسرته وأثرها على تربيته، وأخيراً وفاته.

وتطرقت في الفصل الثالث إلى الوظائف التي تقلدها الوزير علي بن عيسى بن الجراح في حياته العملية، و الدور الذي لعبه في الدولة من خلالها، فبدأ

عمله بالوظائف الديوانية والكتابية، والتي مهدت له الطريق لتولي منصب الوزارة لأكثر من مرة، واخيراً عمله في ولاية المظالم، وقد اتضحت شخصيته الإصلاحية من خلال الأعمال التي تقلدها.

وعالج الفصل الرابع إصلاحات الوزير علي بن عيسى بن الجراح وتأثيرها على الوضع العام في الدوله العباسيه خلال فترة الدراسة، والتي إستهدفت انعاش الدوله إقتصاديا، من خلال القيام بتنفيذ برامج إصلاحيه تهدف الى توفير الاموال لخزينة الدوله، بالاضافه الى الاهتمام بأحوال المزارعين والأراضي الزراعية، وطرق جباية الأموال، ومحاولة إحداث توازن بين الواردات والمصروفات.

وتناول الفصل الخامس مواقف علي بن عيسى بن الجراح من حركات المعارضة المختلفة التي ظهرت في أجزاء مختلفة من الدوله العباسية ، وخصوصا حركة القرامطة، ودوره في الحد من خطرها على كيان الدولة العباسية.

أما الفصل السادس فقد ألقيت الضوء فيه على المحن والنكبات التي تعرض لها الوزير علي بن عيسى أثناء حياته العملية ، والتي تراوحت بين التأنيب والنفي والسجن والمصادرة في سبيل إيقافه عن المضي في مشوار حياته العملي.

ثم ختمت الرسالة بخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، بالإضافة إلى عدد من الملاحق ، ثم قائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة.

ABSTRACT

'Ali ibn 'Ìsã, ' The Abbasid Wazir'
A study on his life and Era
(245 –334 H /859 –945 A.D)

Mohammad salman Al-zaideeyn
Muáta university 2003

This study aim at shed some light on one of the Abbasid wazeer Ali Bin Isa study about his life and era,245-334 H/859-945 AM

This study includes on introduction, six chapters,conclusion,and a review of the primary and secondary sources used.

The first chapter discusses the political and economical life of the abbasid states 295-334 H/907-945 AM. and go out of political and economic issues in the time of khalifat Almogtader Billah (295-320 H/907 - 932 AM), and khalfah Al radi Billah (320-322 H/ 932-933 AM) and headman(324-334 H/ 935-945 AM) in the second chapter we discusses Ali Bin Isa personality, early life,birth,qualifications, maners,and his intellection, and the effect of his family on his practical life.

The third chapter, treated the positions that he had installed through his practical life in order to now the role which he played there.

The fourth chapter,deals with the ministers reformations in the Abbasid states. and effects on the general states. specially on the economic field, in addition to his agricultural reformation, and his interest on collecting taxes.

the fifth chapter, goes out to his political role about various velucate movements which appeared in the Abbasid states, particularly the quromatic movement.

Finally, chapter six deals with the orders and disasters which the ministers faced, through his practical life, such as :reprimand, exile,prison, and confiscation.

The thesis ends with a conclusion appendix,and comprehension bibliography.

الفصل الأول

الحياة السياسية والاقتصادية في دولة الخلافة العباسية 295-334هـ/ 907-945م.

المقدمة

جاء اختياري لموضوع هذه الرسالة (الوزير العباسي علي بن عيسى دراسة في حياته وعصره (245-334هـ /859-945م). نتيجة لعدم وجود دراسة تفصيلية متكاملة عنه حيث أن ما تطرق إليه الدراسة وأن كان عاماً عن شخصيته وحياته، وجاء في معظم الأحيان بشكل مختصر لا يتعدى بضع صفحات لم تغط جميع جوانب حياة هذا الوزير التي استمرت قرابة تسعين عاماً، أمضى منها حوالي أربعين عاماً في خدمة الدولة العباسية.

لذا فقد حاولت في بحثي هذا القاء الضوء على شخصيته وحياته وأعماله واصلاحاته ومواقفه السياسية بشكل أكثر تفصيلاً،بهدف أعطاء صورة واضحة عنه وقسمت الدراسة فيه إلى ستة فصول، خصص الفصل الأول لدراسة العصر الذي عاش من الناحية السياسية والاقتصادية في محاولة لفهم روح العصر فيما بين سنة 295هـ / 907م، إلى334هـ/945م، والذي يبدأ بوفاة الخليفة المكتفي وتولي أخيه المقتدر الخلافة سنة 295هـ/907م، مروراً بفترة الخليفة القاهر بالله (320-322 هـ /932-933م).وأخيراً فترة استحداث منصب أم أمير الأمراء(324-334هـ/935-945م).

أما الفصل الثاني فقد تناول شخصيته، محور هذه الدراسة، وتم فيه التطرق إلى اسمه ومولده ونشأته، ثم تناول صفاته واخلاقه وثقافته، والتعريف بأسرته لتوضيح أثرها على تربيته، وأخيراً وفاته.

وأما الفصل الثالث فيبحث في الوظائف الإدارية والديوانية التي تقلدها بالدولة، والتي مهدت الطريق لتولي منصب الوزارة لأكثر من مرة،وأهم ما قام به أثناء توليه منصب الوزارة لمرتين،ثم تقلده ولاية المظالم لأكثر من مرة من قبل الخلفاء، لما لها من أهمية في حياة المجتمع.

وخصصت الفصل الرابع لإصلاحاته الاقتصادية، والتي استهدفت إنعاش اقتصـــاد الدولة، وإعادة بنائه من خلال القيام بإجراءات إصلاحية لتوفير الأموال لخزينة الدولة، ومحاولة إحداث توازن بين المصروفات والواردات، وفي المجال الإداري قـــام باســـتحداث دواوين جديدة، اقتضتها ظروف الدولة المالية، بهدف القضـــاء علـــى الفســـاد الإداري المنتشر في أجهزة الدولة، بالإضافة إلى قيامه بإصلاحات في مجال الخدمات العامة للرعية.

وفـــي الفصل الخامس تحدثت عن مواقفه من الحركات المناوئة للدولة في عصره، وخصوصاً الحركة القرمطية ودوره في الحد من خطر هذه الحركة سلماً وحرباً.

وتناولـــت في الفصل الأخير المحن والنكبات التي تعرض لها أثناء حياته العملـــيه، والتـــي تراوحـــت بيـــن التأنيب والسجن والنفي والمصادرة، لثنيه عن الاســـتمرار فـــي بـــرامجه الإصلاحية في الدولة، إلا أن هذه المحن لم تفت في عزيمته في سبيل المضي في إصلاحاته.

اما الخاتمة فقد تظمنت خلاصة ما توصل اليه البحث من نتائج، بالاضافة إلى ثلاثة ملاحق هي:

الملحـــق الأول: نص كتاب الوزير علي بن عيسى في اسقاط مال التكملة باقليم فارس.

الملحـــق الثاني: قائمة الوزير علي بن عيسى التي عملها لواردات الدولة سنة 306هـ / 918م.

الملحـــق الثالـــث: قائمة الوزير علي بن عيسى التي عملها لنفقات الدولة العباسية لسنة 306هـ/ 918م.

وقـــد اعـــتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع المتنوعة، والتـــي اسهمت في رسم الصورة التي هدفت إليها وهي الكشف عن حياة الوزير علـــي بـــن عيســـى مـــن خلال اعماله واصلاحاته ومواقفه السياسية خلال فترة الدراســـة، وقد افادت الدراسة من مختلف المصادر وأن اختلف مقدار الإفادة من مصدر لآخر، وفيما يلي تحليل لأهم هذه المصادر :

يأتي في مقدمة هذه المصادر تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبــري (310هــ/ 923م) والكــتاب مــن المصادر الأساسية في التاريخ الاسلامي، ويعتبر الطبري في هذه الفترة التاريخية المؤرخ المعاصر للأحداث وشاهد عيان لها، إذ كتــب أحداثها حتى سنة 302هـ/ 914م، وقد افاد منه البحث خصوصاً في الناحيتين السياســية والاقتصادية للدولة العباسية عند تولي الخليفة المقتدر الخلافة، وكيفية تولي الوزير علي بن عيسى الوزارة.

وقــد عمــل عريب بن سعيد القرطبي ت370هـ/980م تكمله لتاريخ الطبري سماه (صلة تاريخ الطبري) بدأه من سنة 291هـ/903م، إلى سنة 320هـ /932م، وهو يغطــي عصــر الخليفة المقتدر، إذ أفاد البحث إفادة كبيرة في إلقاء الضوء على الظــروف السياســية والاقتصادية للعصر الذي تولى فيه الوزير علي بن عيسى منصــب الوزارة، وأهم الأعمال التي قام بها الوزير أثناء توليه الوزارة بالاضافة إلى جهوده في التصدي لحركة القرامطة في عصره.

كمــا عمــل محمــد بن عبد الملك الهمداني (521هـ /1227م) تكملة لتاريخ الطــبري سماه (تكملة لتاريخ الطبري). بدأه من سنة 295هـ / 907م إلى سنة 367 هــ/977م وأفــادت الدراسة منه في التعرف على الأحداث السياسية والعسكرية خلال الفترة، بالإضافة إلى تناوله إصلاحاته المالية.

ويعــد كــتاب اخــبار الراضي بالله والمتقي لله لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (335هــ /946م). وهو من المصادر الأساسية التي اعتمد عليه البحث، فقد كــان الصولي أديباً كاتباً، ولد ونشأ في بغداد وتولى مهمة تربية الخليفة الراضي، ثــم أصبح في مقدمة جلسائه وكتابه بعد توليته الخلافة، وقد أفاد البحث كثيراً من المعلومات المتعلقة بعصري الراضي والمتقي.

وتحــدث علــي بــن الحسين المسعودي (ت345هـ/958م). في كتابه مروج الذهب ومعادن للجوهر وهو كتاب تاريخي جغرافي، عن وزارة علي بن عيسى، وتولــي عبدالرحمــن بــن عيسى الوزارة للخليفة الراضي، بالاضافة إلى تزويد البحث بمعلومات عن فترة إمرة الأمراء.

وعــن احـــداث الفترة ما بين 255-351هـــ / 868-962م، ذكر الكتاب (العـــيون والحدائق لمؤلف مجهول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) احـــداث المشرق والمغرب الاسلاميين على السنين، وقد ارخ لعشرة من الخلفاء العباســـيين هـــم: المهــتدي، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفي، والمقتدر، والقاهر والراضـــي، والمتقي، والمستكفي، والمطيع، وقد أفادت الدراسة من هذا المصدر معلومـــات عن الحركة القرمطية وعن تدخل النساء والجواري في شؤون الدولة، بالإضـــافة إلـــى تكلمه عن وزارة علي بن عيسى واصلاحاته الادارية والمالية، ووزارة أخيه عبدالرحمن بن عيسى للخليفة الراضي.

والكتاب الذي يمثل صورة حية للمجتمع العباسي وبخاصة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فهو (نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة لصاحبه المحسن من علي التنوخي المتوفي 348هـــ /994م، وهو عبارة عن حوادث وقعت للناس في عهد التنوخي وما سبقه من عهود، ذكرها لتعكس عن واقع الاحوال، وقد تناول فيه صاحبه الحياة السياسية والاقتصادية والادارية في الدولة العباسية كما تناول ةزارة علي بن عيسى بن الجراح.

أمـــا افضل كتاب عده بعض الدراسةين كمرجع في تاريخ دولة بني بويه واخبار الدولة العباسية في عهد سيطرتهم، وحديثه عن الوزارة والوزراء في هذه الفـــترة يعـــادل إلا لم يفق كل ما كتب قبله وبعده، فهو كتاب أحمد بن محمد بن مسكويه (ت421هـــ/1030م) في كتابه تجارب الأمم وتعاقب الهمم، فقد وجدته مصدر اساسياً في البحث من حيث اهتمامه بالأمور الادارية للدولة العباسية ومن ضمنها النواحـــي المالـــية، وقـــد افاد منه البحث بما قدمه من مادة، وما وفره من وثائق وكتـــب رسمية ذات علاقة بالنواحي الاقتصادية، وكما تناول كيفية تعيين وعزل الـــوزراء بالاضافة إلى سياساتهم المالية والإدارية، ومحاولات الاصلاح التي قام بهـــا الوزيـــر علي بن عيسى بن الجراح كما أشار المصدر إلى إسراف وتبذير الخلفاء والوزراء والحاشية، وأخيراً تناول بعض الحركات السياسية التي كان لها أثر في تصديع كيان الدولة العباسية كالحركة القرمطية.

ومثله في الأهمية لفترة عهد الخليفة المقتدر بالله (295 -320هـ /907-932م) والوزراء الذين توالوا على كرسي الوزارة في عهده، فقد كان لأبي الحسن الهلال بن المحسن بن هلال الصابي (458هـ/1056م) في كتابه الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، فكان يتناول فيه الوزير الأول ثم وزارته إلى أن يستوفيها، ويترك الحديث عنه ثم يعود إليه عند توليه الوزارة الثانية، ولم يسر فيه حسب التسلسل التاريخي، وقد ترجم في هذا الكتاب لثلاثة من وزراء المقتدر وهم: علي بن الفرات ومحمد بن عبيدالله الخاقاني واخيراً الوزير علي بن عيسى بن الجراح موضوع هذه الدراسة، وفي أثناء ذلك يعرض أخبار لوزراء آخرين تتصل بالمترجم لهم مثل حامد بن العباس وأبن مقله وغيرهما، كما أورد الصابي معلومات قيمة عن كيفية تولي الوزير علي بن عيسى وزارته الأولى والثانية للخليفة المقتدر، وتحدث عن إصلاحاته المالية والإدارية كما تناول موقفه من الحركات المعارضة للدولة العباسية وخصوصاً حركة القرامطة، حركة يوسف بن أبي الساج، حركة الحسين بن حمدان.

أما عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت597هـ/1200م) فقد كان كتابه المنتظم في تاريخ الملوك الأمم،مصدراً احتوى على معلومات ذات قيمة كبيرة عن التاريخ الاسلامي، مما افاد البحث عن الأحداث التاريخية والتراجم ذات العلاقة بفترة البحث

ومن الكتب التي افدت منها في بحثي هذا كتاب (الكامل في التاريخ) لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم الشيباني. (ت630هـ/ 1232م). وهو تاريخ عام، تناول احوال العالم الإسلامي، واعتمد في كتابة على طريقة الحوليات، ويقدم معلومات قيمة ذات أهمية للبحث، فهو يورد كثيراً من المعلومات الإدارية والمالية والاقتصادية والاجتماعية،التي أفاد البحث منها في جوانب كثيرة، وخاصة في جهود الوزير علي بن عيسى في إصلاح اوضاع الدولة اقتصادياً، كما تناول الوظائف التي تقلدها الوزير علي بن عيسى بالدولة.

وكتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن علي طباطبا المعروف بأبن الطقطقي (ت 709هـ/1309م) وهو كتاب يتناول الأمور

السلطانية والسياسات الملكية، ثم الحديث عن الدولة الاسلامية ذاكراً الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية فالدولة العباسية، ويختلف عن غيره من الكتب في أنه اعتمد في تأليفه على الموضوعات ولم ينهج منهج الحوليات، وقد أفادت الدراسة منه في ذكر تفاصيل عن وزراء خلفاء بني العباس، بالإضافة إلى سياسة المصادرات التي تعرض لها هؤلاء الوزراء، كما تناول وزارة علي بن عيسى للخليفة المقتدر وإشرافه على وزارة حامد بن العباس، والتحدث بإيجاز عن كيفية تولي الوزراء منصب الوزارة في عهد الخليفة المقتدر وبعض صفاتهم.

نهايك عن عدد من المصادر الأخرى أفادت الدراسة أشير اليها في الهوامش، يستطيع القارئ الاطلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع،كما أفادت الدراسة من المراجع والدراسات الحديثة التي لها علاقة بموضوع الدراسة، يجدها القارئ ايضاً في القائمة المذكوره.

وبعـــد : فقـــد بذلت ما استطعت من جهد لتوضيح دور ومكانة الوزير علي بن عيســـى، فأن تحققت الغاية فذلك الذي اردت، والا حسبي انني حاولت جاداً والله وحدة الكامل والهادي سواء السبيل.

الحياة السياسية والاقتصادية في دولة ألخلافة العباسية (295334هـــ / 907945م)

حكم في الحقبة موضوع الدراسة (295-334هـ907-945م) خمسة من خلفاء بني العباس المقتدر بالله (295-320هـ/ 907-932م) والقاهر بالله (320-322هـ 932-933). الراضي بالله (323-329هـ/ 934هـ940م) والمتقي لله (329-933هـ/ 940-944م). والمستكفي بالله (333-334هـ/ 944-945م).

كـــان الخلـــيفة المكتفـــي يرغب في تفويض أمر الخلافة من بعده إلى أخيه جعفـــر، ومـــن أجل ذلك قام بدعوة القضاة، وسأل بحضورهم عن اخيه، فلما صح عنده أنه بالغ لسن الرشد، فوض اليه امر الخلافة من بعده، لكنه المكتفي توفى دون اصدار تصريح رسمي بذلك (عريـــب،1964،مسكوية،(د.ت)؛الهمداني،1964). مما افسح المجـال مـــن جديد للقادة الأتراك والكتاب والوزراء التدخل في الشؤون السياسية

والاداريـــة، ذلـك أنهـم شعروا بان السلطة ستبقي خارج أيديهم إذا استمر تعاقب الخلفـاء والأمراء الاقوياء، فعادوا سيرتهم الاولى في اختيار الخلفاء الضعفاء حتى يضمنوا استمرار نفوذهم والاحتفاظ بمناصبهم (فوزي، 1977).

وكـان في منصب الوزارة آنئذ العباس بن الحسن ففكر فيمن يتولى الخلافة بعد المكتفي، فاستشار كتاب الداودين الاربعة، وكان من عادة الوزير أن يسايره إذا ركـب أحد هؤلاء وهم: أبو عبدالله محمد بن داود بن الجراح، وأبو الحسن علي بن محمـد بـن الفـرات، وأبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح، ومحمد بن عبدون، فاستشـار الوزير يوماً محمد بن داوود الجراح في ذلك، فأشار بعبد الله بن المعتز ووصفه بالعقل والرأي والأدب، واستشار أبا الحسن علي بن الفرات الذي اثناه رأيه عن أبن المعتز وحذر وقال :

> " اتـقِ الله ولا تنصـب في هذا الامر من قد عرف دار هذا، ونعمة هذا، وبستان هذا، وجارية هذا، وضيعة هذا، وفرس هذا، ومن لقى الـناس، وعرف الأمور، وتحنك، وحسب حساب نعم الناس، فكيف يـتم لـنا معه امر! ان حمل كبيراً على صغير، وقاس جليلاً على دقيق" (مسكوية، د.ت، ص3؛الصابي، 1958،ص123)

واشـار بتولية جعفر بن المعتضد، فاستصباه الوزير، وكان يومئذ عمره ثلاثة عشرة سنه(الطبري،1967؛المسعودي،1938؛ أبن الجوزي،1992؛ الأزدي،1999). فأجابة أبن الفرات :

> " إلا أنـه أبـن المعتضـد، ولم تجئ برجل يأمر وينهى، ويعرف مالنا، وبمن يباشر التدبير بنفسه، ويرى أنه مستقر؟، ولما لا تسلم هـذا الامـر إلى من يدعك تدبره انت"(مسكوية، (د.ت) ؛أبن الأثير، 1979،ص10).

أما علي بن عيسى فقد امتنع عن ترشيح احد وقال : "لا أشير بأحد ولكن ينبغي ان يتقى الله وينظر للدين"(مسكوية(د.ت).ص3).

فمالت نفس الوزير العباس بن الحسن إلى مشورة أبن الفرات، وأضيف إلى ذلك رغبة ووصية المكتفي في تولية أخيه جعفر الخلافة بعده، فلما توفي المكتفي

اختار الوزير جعفر للخلافة، ولقبه بالمقتدر بالله وأطلق المقتدر يده في بيت المال لإخراج حق البيعة وتوزيع أرزاق الجند عليهم (مسكوية(د.ت). وكان عمر الخليفة المقدر عند توليه الخلافة ثلاث عشر سنة، ولم يل الخلافة اصغر منه في تاريخ الخلافة وملوك الاسلام الطبري،1967؛ المسعودي،1938؛أبن الكازورني،1970؛الأربلي،(د.ت).

وهكـــذا استطاع أبن الفرات أن يقنع الوزير العباس بن الحسن بصحة رأيه فـــي نهايـــة الأمر، وبعدم تولية خليفة قوى كأبن المعتز وذلك للحفاظ على مصالحه الشخصية، مع أن الوزير كان ميالاً للرأي الآخر(متز، (د.ت)؛ الكبيسي،1972).

وفـــي سنة (296هـ/ 908م). اجتمع القواد والقضاة والكتاب مع الوزير العباس بـــن الحســـن واتفقـــوا على خلع المقتدر بالله، وتناظروا فيما بينهم حول من يتولى الخلافـــة بدلاً منه، فاجتمع رأيهم على تولية عبدالله بن المعتز(الطبري،1967). وكان على رأسهم محمد بن داود بن الجراح، فراسلوا أبن المعتز بذلك فأجابهم: على أنه لا يكـــون فيه سفك دم، ولا حرب، فأخبروه باجتماعهم عليه وأنه ليس له منازع أو محاسب(الطبري،1967؛أبن العمراني،1973).

وكـــان الســـبب في خلع المقتدر، أن الوزير استصباه وكثر كلام الناس فيه لصغر سنه، وعدم قدرته على تدبير شؤون الخلافة، ولغلبة النساء على أمره والخدم (أبن تعزي بردى،1963؛ الدوري،1945).

الاان الوزير عدل عن رأيه في عزل الخليفة المقدر بعد ان رأى ان حاله قد صلحت معه وانه على ما يجب ، فنقض عهده معهم، فوثب عليه الحسين بن حمدان فقـــتله (الطـــبري،1967؛ الخطيـــب البغدادي،1997؛ أبن العبري،(د.ت)). فذهب الوزير ضـــحية هذه المؤامرة حيث كان قتله بداية التنفيذ، إذ كان للدور الكبير الذي قام به الوزيـــر العباس بن الحسن في ايصال المقتدر بالله إلى الخلافة له دلالته في ارتفاع أهمـــية الوزارة واستقرارها، كما أن مقتله يعكس العلاقة الوثيقة بينه وبين الخليفة، ومدى الترابط بين الاثنين(السامرائي، 1971).

وبعـــد أن حقق المتآمرون ماكانوا يخططون له من عزل المقتدر ومبايعتهم أبـــن المعـــتز، كافأهم على ذلك فقلد محمد بن داود بن الجراح الوزارة، وعلي بن عيسي الدواوين، ومحمد بن عبدون الإشراف على دواوين الأزمة (التنوخي،1971).

أرســل أبن المعتز كتاباً إلى الخليفة المقتدر يأمرة بالانتقال من دار الخلافة لكــي ينتقل هو إليها، فأجابه بالسمع والطاعة والإمهــــال إلى الليل(الطبري،1967؛ التوخي 1987).

ولــم يكــن بقى مع المقتدر الا طائفة يسيره على رأسهم مؤنس الخادم،وحاشيه الــدار، ولمــا هــم المقــتدر بالانتقال قال بعضهم لبعض:" ياقوم لانسلم هذا الأمر الخلافــة– دون ان نبلــي عــذراً ونجتهد في دفع ما اصأبناً" (مسكوية(د.ت). ص6؛ اليلفعــي، 1997، ص15).

واجمعــوا رأيهم على الهجوم في المساء على الدار التي فيها أبن المعتز أو ليقــتلوه، فصــعدوا في الشذوات -السفن الصغيرة ، فلما رآهم من عند أبن المعتز، وقــع الهلــع والرعب في قلوبهم، وهالهم كثرتهم واضطربوا وهاموا على وجوههم قــبل أن يصل القوم إليهم(الطــبري،1967؛ مسكويه(د.ت)). كما ان العامة انقلبت على أبن المعتز ومالت إلى المقتدر فكثر عددهم (الطبري،1967؛التوخي، 1987).

هرب أبن المعتز ومعه وزيره محمد بن داود بن الجراح إلى سامراء، ظناً أن الجــند الذيــن بــايعوا أبــن المعــتز يتبعونه، لكن الأمل خاب عندما لم يلحق به احد((مسكوية(د.ت)؛أبن الجذري،1992؛ الكبيسي،1972). فتوجه أبن المعتز إلى دار أبي عبدالله بن الجصاص في بغداد فاستجار به واختفى محمد بن داود في بيته، واستتر أكثر من بايع أبن المعتز(الطبري،1967).

وعقــب هذه الفتنة تعرضت بغداد للنهب والسلب، وانتشرت الفوضى، وأخذ اللصــوص وقطــاع الطرق ينهبون البيوت ويروعون السكان(أبن الجوزي، 1992؛ الذهبي،1965).

أمــا أبــن المعــتز فقد ألقي القبض عليه في دار أبن الجصاص في بغداد وحبس إلى الليل وعذب حتى مات، واخذ وزيرة محمد بن داود بن الجــــراح فقتل (السـعودي،1938؛ الهبــي،1985). وقــبض على الكتاب والفقهاء والأمراء الذين شاركوا في الفتنة، وسلموا إلى مؤنس فقتلوا جميعا(الهمداني،1964؛ الذهبي،1985).

وانتهت بذلك هذه الفتنة التي بها أبتدأ ضعف الخلافة، وسقوط هيبتها في عهد المقــتدر، حتى لم يعد للخلافة ادني سلطان واحترام، حيث عاد الخليفة أضعف مما

كـــان علـــيه في بداية نفوذ القادة العسكريين، ولم يبق للمؤسسة المدنية التي يرأسها الوزيـــر ورؤساء الدواوين فعالية سياسية رئيسة بل خضعت كافة المؤسسات لنفوذ العسكريين(فوزي،1998).

كـــان عهد مكرر الخليفة المقتدر، عهد ضعفت به الدولة، وانحط مركز الدولة المالـــي والسياســـي، لصغر سن المقتدر وطول فترة حكمة، وكثرة وزرائة وتأثير والدته، وحدثت في عهده ازمات مالية حادة كان منشؤها الخليفة نفسه الذي أنفق في ســـنين قلـــيلة مـــا جمعه المعتضد والمكتفي، وبدد كنوز الدولة، وكان يتخلل حكمه فترات يشكو فيها من قلة المال (المسعودي،1938؛القضاعي،1997؛ أبن كثير،1993) أبن تغري بردي،1963). ويوضح المسعودي ذلك بقولة:

" افضت الخلافة إليه وهو صغير السن، لم يعاون الأمور، ولا وقف على أحوال الملك، فكان الأمراء والوزراء والكتاب يدبرون الأمور لـــيس له فـــي ذلـــك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة، وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم، فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الاموال بسوء التدبير الواقع في المملكة، فأداه ذلك على ســـفـــك دمه، واضطربت الأمور بعده، وزال كثيـــر من رســـوم الخلافـــــة " (المسعودي،1938، ص377).

كان المقتدر مبذراً متلافاً، أنفق اموال الدولة على ملذاته، حتى بلغ مجموع ما أنفقه في خلافته اكثر من سبعين مليون دينار، وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه(عريب،1964؛ مسكوية (د.ت)؛ أبن الاثير،1979). وهذا بالإضافة إلى ما كان في بيت المال يوم تولى الخلافة، فقد توفي المكتفي، وفي بيت المال خمسة عشر ألف ألف دينار(الطبري،1967). غير ما بدده من الجواهر الثمينة التي كانت تحتفظ بها خزائن الدولة منذ خلفائه الأولين، ومن ذلك إهداءه الدرة اليتيمة لبعـــض حظايـــاه (أبن الطقطقا،1966؛ الذهبي،1944؛اليافعي،1997). وأهدى حظية ثانية سبحة جوهر لم يرى مثلها قيمتها ثلاثمائة ألف دينار(أبن تغري بردى،1963؛ السيوطي،1999). وأهدى حظية ثالثة فص ياقوت اشتراه هارون الرشيد بثلاثمائة

الف دينار(مجهول،1972). وكان في قصره احدعشر الف خادم من الصغالبة والروم والسودان(أبن الجوزي،1992،السيوطي،1999).

وفـــي عهـــده فسد الحكم فساداً لاحد له، اذ لم يقتصر الفساد في الدولة على الخليفة نفسه، اذ كان الوزراء يرتشون ومثلهم الولاة على الأقاليم وكبار الكتاب، بل أنهم جميعاً كانوا يختلسون أموال الخراج والضرائب وما كان يصير إلى الدولة من الـــبلدان المختلفة، فينعمون ويترفون والشعب يتمرغ بالبؤس والحرمان ومن الامثلة علـــى ذلـــك الوزير علي بن الحسن بن الفرات الذي تولى الوزارة للمقتدر مرتين، حيـــث صودر سنه (299هـ/911م). واستولى على أمواله واقطاعاته فجمع منه سبعة ملاييـــن من الدنانير(عريب، 1964). ورغم ذلك استوزره المقتدر مرة أخـــرى حتى اذا توفـــــي ســـنه (312هـ/ 924م). وجد له نحو عشرة ملايين من الدنانير(أبن تغزي بـــردى،1963). ومن صور فساد الاحوال الادارية في الدولة ما قام به الوزير محمد بـــن عـــبدالله الخاقاني، وكان سيئ السيرة فقد ولى على الكوفة في يوم واحد تسعة عشر والياً أخذا من كل واحد منهم رشوة وفيه يقول الشاعر(عريب،1994):

وزير لايمل من الـــرقاعة   يولى ثم يعـــزل بعد ساعـــة

اذا اهل الرشا صار والية   فاحظى القوم أو فرهم بضاعة

كل ذلك أدى إلى سواء الاحوال الادارية في الدولة نتيجة تولي الوزارة وزراء ضعاف ليس لديهم الخبرة والكفاءة والاصلاح، حتى وليها في خلافة المقتدر اثنا عشر وزيراً لم يكن لهم معرفة ودراية في امور الادارة او الوزارة، وكان كل مؤهلاتهم انهم ضمنوا للخليفة توفير الاموال التي يحتاج اليها، بالاضافة إلى توفير ارزاق الجيش(مسكوية،(د.ت)؛ أبن الاثير، 1979).

وممـــا زاد فـــي الفساد في عهد المقتدر غلبة النساء على الحكم، فكن كثيرات التصـــرف بحســـب اهوائهـــن، وكـــن يقتنيـــن الجواهر الباهظة الاثمان والضياع والعقـــارات والأمـــوال الطائلة، مما افسح المجال للتدخل في شؤون الدولة، ووقوع الخلـــيفة المقـــتدر تحت تأثيرهن مباشرة (المسعودي،1938). حتى غلبت على الأمر النســـاء والخدم وغيرهم، وكان الخليفة المقتدر شديد الولع بالنساء لحد الافراط حتى

أنـــه يقتضـــي اغلب وقته باللهو والمجون، ويدعو بالاموال ويفرقها على الجواري والنساء (أبن الطقطقا،1966؛ السيوطي،1999).

وتمـــيز عصره ايضًا بازدياد نفوذ القهرمانات، وتدخلهن في شؤون الخلافة حيث كان لهن شأن كبير ومكأنه مرموقة في دار الخلافة، فقد كن يتدخلن في تعيين الـــوزراء وعـــزلهم عـــن الوزارة، لذلك كان الوزراء دائماً يسعون لخطب ودهن، والـــتقرب اليهن بالمال(زيدان(د.ت). وكثيراً ما كان تأخر أرزاق القهرمانات أو خدم القصر سبباً في عزل الوزير(عريب،1964).

وقـــد لعبـــت والـــدة المقتدر دوراً بارزاً في التاثير على الخليفة والتدخل في السلـــطة فقد كانت تمسك بيدها زمام الأمر والنهي في الدولة، وتشارك الخليفة في ســـلطأنه فقـــد كانت تجلس للمظالم وعليها خطها(القلقشندي،1985). وكانت ثرية بلغ دخلهـــا في العام من املاكها ألف الف دينار(التنوخي،1971) وادى تدخل النساء في امـــور الدولة إلى ضعفها وأستهتار العامة بها وحرمأنها من وزراءها لاكفاء(حسن ابراهيم،1964).

وممـــا زاد فـــي تصـــديع أركان الدولة في عهد المقتدر، غزوات القرامطة المـــتكررة وتهديدها لكيان الدولة، واثاره الرعب في قلوب حجاج بيت الله الحرام، ففـــي سنة (301هـــ/ 913م). تعرض الحجاج لاذى القرامطة فعملوا على قتل الحجاج ونهب اموالهم(الاصفهاني،1961).

وفـــي سنة (311هـ/ 923م). دخل البصرة ابو طاهر سليمان الجنابي، ووضع السيف في اهلها وأحرق الجامع، فهرب الناس ورموا أنفسهم في الماء فغرق خلق واستباح الحريم والمال، واقام فيها سبعة عشر يوماً يحمل على جماله اموالهم وسار إلـــى بـــلاده(أبـــن سنان،1987). وكذلك فعلوا في سنة (312هـ/ 924م). فهاجموا قافلة للحجـــاج قرب الهبير، فأخذوا الاموال والجمال والحريم وتركوا بقية الركب فماتوا جوعاً وعطشاً، وبلغ الخبر بغداد فكثر فيها النواح والبكاء (أبن سنان،1987، وتوالت هجمات القرامطة ونهبهم لاموال الحجاج والاعتداء على حرماتهم وممتلكاتهم، وكان ذروة ذلك في هجوم ابي سعيد القرمطي على مكة سنة (317هـ/929م). فقتل المسلمين فـــي المســـجد الحـــرام، وهم متعلقون باحجار الكعبة واقتلع الحجر الاسود واخذه،

واقــتلع ابــواب الكعبة وجردها من كسوتها، وطرح القتلى في بئر زمزم وعاد إلى بلادة ومعه الحجر الاسود(الأصفهاني،1961؛أبن الوردي،1969؛أبن دقماق،1985). وبلغ عـدد القــتلى وهم متعلقون باستار الكعبة الف وسبعمائة من الرجال والنساء (أبن سنان،1987؛الذهبي،1985).

وصعد على باب الكعبة واستقبل الناس وهو يقول:

انا بالله وبالله أنــــــا يخلق الخلق وأفنيهم أنا.

وقــتل في سكك مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألفا، وسبأ من النساء والصبيان مثل ذلك(اليافعي،1997).

كانت الازمات المالية وارتفاع الاسعار وثورات الجند من السمات الرئيسية لعصــر المقــتدر بسبب بذخ الخليفة واسرافه، وجشع الوزراء وكبار موظفيه الذين كانوا كثيراً ما استغلوا مراكزهم لجمع المال لأنفسهم على حساب الدولة والمصلحة العامــة، فــلا عجب ان أفلست الخزينة حتى أنه لم يتوفر المال الكافي لدفع ارزاق الجــند المــتراكمة بذمــة الدولة، ومما زاد في اشتداد الضائقة الاقتصادية، وتردي الاوضــاع العامــة، ســوء طرق الجباية، وزيادة النفقات الباهظة، وكثرة الثورات المتــتابعة، وحــروب القــرامطة المســتمرة، وانفصال بعض الولايات عن مركز الخلافــة، وإبــان اشــتداد الازمات السياسية ازدادت ازمة بيت المال شدة وتعقيداً، وتعسر الاحتفاظ بالتوازن بين الدخل والمصروف(الكبيسي،1974).

وفــي ســنة (308هـ/ 920م). نشبت في بغداد ازمة عارمة كان الغلاء سببها، حيــث ضجت العامة وكسروا والمنابر، وقطعوا الصلاة، وأحرقوا الجسور، وذلك بســبب ضمان الوزير حامد بن العباس اعمال الخراج بالسواد ودفع اربعمائة الف دينار زيادة وقدمها للمقتدر الذي كان متعطشاً للاموال فتقبلها المقتدر، مثل هذا كان كفــيلاً لزعزعة الحالة الاقتصادية في بغداد، لذلك انفجرت الأزمة فقصد العامة دار حــامد بن العباس فخرج اليهم بغلمأنه وحاربهم ودار القتال اياماً، واستمرت العامة فــي الــثورة، ولــم تهــدأ الا بعد ان أمــر المقتــدر بفتح الدكاكين التي كانت له ولحــامــد بــن العــبــاس ولأم المقــتــدر، وغــيرها وبيع ما فيها، فرخصــت

الاســعــار(مسـكوية، (د.ت)).'واستمرت الفتنة اسبوعياً من الجمعة إلى الجمعة قتلاً ونهباً وسرقاً'(مجهول، 1972، ص291)

وبالاضــافة إلــى العوامــل السياسية كان للعوامل الطبيعية دور في سوء الاحــوال الاقتصــادية ومــن ذلــك ما حدث سنه (297هـ/ 909م). من تأخر هطول الامطــار، ممــا ادى إلى انخفاض الانتاج الزراعي، وارتفاع الاسعــار(أبن كثير، 1993). وأيضاً حدث سنه (312هــ/924م). تأخر في هطول الامطار حتى سميت هذه الســنة بســنة الحــبس(أبن الجوزي،1992). وفي سنة (305هـ/915م). تعرضت بغداد لموجــة مــن الــبرد الشــديد صــاحبها سقوط ثلج كثير، الحق اضراراً كبيرة في المــزروعات والحــيوانات(أبــن كثــير،1993). ومما زاد ايضاً في تردي الاوضاع العامــة، فيضــانات نهري دجلة والفرات المدمرة، وما تتركة وراءها من اضرار بالغــة في المحاصيل الزراعية من ذلك ما حدث سنه (316هــ/ 928م) (أبن الجوزي، 1992).

وكان لتفشي انتشار الأمراض والاوبئة دور في زيادة معاناة الناس وبؤسهم وجوعهــم، ومن ذلك ما حدث سنة(300هـ/ 912م). حيث كثرت الامراض والعلل في بغــداد وبلــغ الامر ان الكلاب اصبحت تطلب الناس والبهائم والدواب فإذا عضت انساناً اهلكته(أبن كثير، 1993؛ أبن تعزي بردى، 1963).

وتكرر انتشار الوباء في بغداد في السنوات التاليــسة(301هـ/ 913م 302هـ/ 914م) (الطــبري، 1967). وكانــت أقــوى هذه الموجات سنة (307هـ/ 919م). حيث انتشر الطاعون، مما ادى إلى وفاة اعداد كبيرة من الناس لا تحصي(الذهبي، 1985). وفي ســنة (320هـ/932م). تعرضت بغداد لأزمة اقتصادية حادة أدت إلى ارتفاع الاسعار بشــكل كبير حيث اجبرت الناس أن يصيحوا الجوع الجوع، لأن القرمطي ومؤنساً منعوا وصول المؤن إلى بغداد(أبن تغري بردى، 1963). وهكذا ذاق الناس ببغداد نكد العيش مرات عديدة خلال عصر المقتدر.

ومــن أبــرز مظاهــر الأزمة الاقتصادية في عهده، ظاهرة تأخر صرف الرواتــب للجند، الأمر الذي أدى بهم إلى القيام بالثورة على السلطة بدافع المطالبة بالمــال المــتأخر، مما افسح المجال امام الجيش ان يتدخل في سياسة الدولة، لولا

محاولة بعض الوزراء، مما أدى إلى قيام كثير من المشاكل بين الجيش والوزراء (الصابي، 1958). ادت بالبعض إلى القتل مثل أبن الفرات الذي قتل بناء على طلب الجيش، ومن ذلك ما حدث سنة (303هـ/ 915م). حيث شغب الجند ببغداد واحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة في ارزاقهم فزيد كل منهم ثلاثة دنانير في كل شهر. وزيد الرجالة كل واحد نصف دينار فسكن الشغب(مسكوية، د.ت).

كذلك كان لظاهرة التأخر في صرف الرواتب اثرها في قيام الفتن في بغداد وانتشار الفوضي من قبل الجند، ففي سنة (299هـ/ 911م). وبسبب نقص الاموال الذي ادى إلى تأخر في اطلاق ارزاق الجند، فشغبوا على الوزير وبسطو فيه السنتهم وقصدوا المصلى واستفحل امرهم، وعند أمر الخليفة المقتدر باطلاق ارزاقهم اعتذر الوزير بقصور الاموال ونقصان الواردات، عندها امر الخليفة باخراج خمسمائة ألف دينار من بين مال الخاصة لتنفق على الجند فسكن الشغب (مسكوية، د.ت).

وفي سنة (306 / 918م). تم القبض على الوزير أبن الفرات وعزله عن الوزارة بسبب التأخر في صرف رواتب الجند(مسكوية، د.ت). وبلغ الحد بالجند التجرؤ على الخليفة المقتدر وبسط اللسان فيه بسبب التأخير في صرف الرواتب، ففي سنه (315هـ/ 927م). اجتمع الجند وشغبوا على المقتدر وطلبوا الزيادة وشتموه ونهبوا القصر الملقب بالثريا وصاحوا :" ابطلت حجنا واخذت اموالنا وجرأت العدو وتنام نوم الجارية، وبذل لهم الأموال فسكنوا" (الأصفهاني،1961).

وفي سنة (317هـ/ 929م). ثار الجند على الوزير أبن مقلة بسبب عدم صرف ارزاقهم، مما اضطر الخليفة إلى اخراج الآنية والامتعة والجواهر من دار الخلافة وبيعها وتفريقها على الجند (الأصفهاني،1961). وثار الفرسان بسبب تأخر ارزاقهم سنة (319هـ/931م). وعملوا على إثارة الشغب والفوضي وتعرضوا للعامة، فكانوا يسلبونهم ثيابهم(الاصفهاني، 1961). كذلك شغب الجند في سنة (320هـ/932م). وطالبوا بأرزاقهم المتأخرة، فأمر الخليفة المقتدر ففرق بينهم أموالا كثيرة، خوفا من استغلال الفرصة للقيام بالنهب والسلب(مسكوية، 1971).

كـــان للوزراء والكتاب دورا اساسيا في توجيه شؤون الدولة ، مع أن توليتهم وعزلهم كان بيد الخليفة من الناحية النظرية على الأقل، ومع ذلك فقد كان الوزراء عرضـــة للتــبدل والمصادرة لأسباب مختلفة، كان أهمها دسائسهم، وحسد بعضهم الــبعض الآخـــر، مما عمل على تدمير قوتهم، وإفساح المجال للمؤسسة العسكرية للــتدخل ثانية في إدارة شؤون الدولة، مما أوقع الخلافة العباسية في براثن الفوضى العسكرية من جديد السامرائي، 1971).

لقـــد كان لوجود مؤنس الخادم، والأزمة المالية التي عاشتها الدولة، العاملين الرئيســـيين في عودة الجيش إلى التدخل في سياسة الدولة العباسية الدوري، 1945). وخاصــــة بعــد أن تــم القضاء على فتنة أبن المعتز من قبل مؤنس وإعادة المقتدر للخلافــة، فأصــبح له الأثـــر الأكبر في توجيه الإدارة، إذ أخذ يفرض إرادته على الخلــيفة ويعمل على تنصيب الوزراء وعزلهم كيفما يشاء، فتضاءلت هيبة الوزارة اعتبارا من هذا التاريخ معتمدا على قوة ودعم الجيش له(مسكوية د.ت).

وفـــي سنة (316هـ/928م). ساءت علاقة مؤنس بالمقتدر، بعد أن دس لمؤنس أن الخلــيفة يدبر أمرا للخلاص منه عند دخوله دار الخلافة، فطلب المقتدر من مؤنس الذهـــاب علــى رأس جــيش لرد عدوان قوات الدولة البيزنطية على حدود الدولة الإســـلامية، فامتـــنع مؤنس عن دخول دار الخلافة وحده، فبعث له الخليفة المقتدر ورقـــة بخـــط يـــده يحلـــف بالإيمـــان المغلظة على بطلان ما بلغه، فتوجه مؤنس وبصحبته عدد كبير من قواده وجنده إلى دار الخلافة، فحلف له المقتدر على صفاء النـــية اتجاهه وودعه(أبـــن الجوزي، 1992). وهكذا تبدلت الأحوال، فعوضا على أن يقسم القواد للخليفة يمين الطاعة والولاء، أصبح الخليفة هو الذي يحلف لهم بصفاء النـــية، ممـــا يعطـــي صورة بأن زمام الأمور قد خرج من يد الخليفة وأصبح بيد الجيش(السامرائي، 1971).

وفـــي ســـنة (317هـ/929م). خرج مؤنس على المقتدر لكونه قد بلغه أنه يريد عزلـــه وتولـــيه قـــيادة الجيش إلى هارون بن غريب الخال، فغضب مؤنس لذلك، وخـــرج بالجيش إلى الشماسية، وبعث إلى المقتدر : "مطالبا بإخراج الخدم والحرم من الدار، وينكر لما يصرف من الأموال"(مجهول، 1972، ص251)

فكتب إليه المقتدر رسالة طويلة مذكرا إياه بفضله عليه وعلى قادة الجيش، وأن له في أعناقهم بيعة من نكثها فقد نكث عهده مع الله وطلب منها الرجوع إلى الهدوء والسكينة، ووعد بتنفيذ مطالبهم، ولما قرأ مؤنس الرسالة طالبه بإخراج هارون، فأخرجوه وقلده الثغور الشامية(الهداني، 1964). مما أدى إلى إزدياد تدخل الجيش في أمور الدولة العباسية، فكان القادة يطالبون الخلافة بتنفيذ رغباتهم مهددين بإثارة الفتن والاضطرابات عن طريق الجيش.

لكن المشكلة لم تحل، فقد قرر مؤنس وقادته خلع الخليفة المقتدر، فدخل بالجيش دار الخلافة، فهرب خواص المقتدر، وأخرج المقتدر والدته وخاله وحرمه إلى دار مؤنس(مسكوية، (د.ت(؛ ابو الفداء، 1997). واحضر محمد بن المعتضد، وبايعه مؤنس والأمراء، ولقبوه القاهر بالله، وجلس القاهر، وكتب الوزير إلى البلاد، وعمل الناس المواكب، وجاء العسكر يطلبون رزق البيعة، ولم يكن مؤنس حاضراً فارتفعت الأصوات، فقتلوا الحاجب، ومالوا إلى دار مؤنس يطلبون المقتدر ليردوه إلى الخلافة، وحملوه على أعناقهم من دار مؤنس إلى مقر الخلافة(القضامي،1997؛ الخطيب البغدادي، 1997). وجيء بالقاهر وأجلس بين يدي المقتدر، فاستدناه وقبل جبينه وقال له: " أنت والله لا ذنب لك، والقاهر يبكي ويقول الله الله ياأمير المؤمنين في نفسي، فقال والله لا أجري عليك مني سوءاً أبداً، فطب نفساً" (مسكوية (د.ت). ص198).

أدرك المقتدر بالله بعد هذا الحادث أنه لا يمكن التهاون بمطالب الجيش وحاول جدياً جمع المال لهم، وقد أحس الجيش بذلك، ورأى أن جميع مطالبه قد نفذت، فأصبح يتصرف بشكل لا يطاق ويتدخل في أغلب مؤسسات الدولة واتضح للمقتدر بأن الفوضى ستعم مجدداً إذا استمرت الحالة على ما هي عليه وإن العواقب ستكون وخيمة لذلك فأنه عمل على إثارة بعض فرق الجيش ضد بعضها الآخر في محاولة لإضعاف قوة الطرفين(السامرائي، 1971).

على أن الأمور تأزمت من جديد بين مؤنس والمقتدر، بعد أن بلغ مؤنس أن الوزير الحسين بن القاسم قد وافق جماعة من القواد في التدبير عليه، فطلب مؤنس من المقتدر عزله ومصادرته، فأجابه المقتدر إلى عزله ولم يصادره،

فغضـــب مؤنـــس وصعد إلى الموصل، ووجه رسولاً إلى المقتدر، فأخذ الرسول وضـــرب مـــن قـــبل الوزير ونهبت داره، وشتم مؤنساً فلما بلغ مؤنس ما جرى لرســـوله وهو الذي كان ينتظر أن يطيب المقتدر قلبه ويعيده، إذ استولى المقتدر علـــى إقطـــاع مؤنـــس وأمواله وأملاكه وأملاك أصحابه، وكتب إلى بني حمدان أمـــراء الموصل بصد مؤنس عن الموصل وقتاله، فجرى بين مؤنس وبينهم قتال، فانتصـــر مؤنس واستولى على الموصل واجتمعت له العساكر من كل جهة وأقام بالموصل (ابو الفداء، 1997).

ســـار مؤنس بعساكره إلى بغداد، فلما رأى المقتدر ضعفه وتفرق العسكر عـــنه قصد الانحدار إلى واسط، ثم اتفق من بقي عنده على قتال مؤنس، ومنعوه مـــن الـــتوجه إلـــى واسط، فخرج المقتدر إلى قتال مؤنس وهو كارة ذلك فأنهزم اصحابه، فلقيه قوم من المغاربة والبربر فقال لهم:

"ويحكم انا الخليفة، فقالوا: قد عرفناك ياسفلي، انت خليفة ابليس، فضـــربه واحـــداً بسيفه فسقط على الأرض وذبحوه"(أبن الجوزي، 1992، ص39؛ أبن الاثير، ص172؛ ابو الفداء، 1997).

ولـــم يشهد مؤنس الحرب، و لما حمل راس المقتدر إليه بكى ولطم وجهه ورأسه وقال:

" يـــا مفســـدون مـــا هكـــــذا أوصيتكم وقـــال : قتلتموه والله لنقتلن كلنـــــــــا " (مســـكوية،د.ت، ص241؛ أبن الجوزي،1992،ص36؛ اليافعي، 1997، ص279) حيـــث طُعنـــت الخلافة لعباسية في الصميم ولم يلتئم جرحها بعد ذلك (الدوري، 1945).

بعد ذلك أراد مؤنس اختيار أبي العباس بن المقتدر لورعه وتقواه وعلاقته الحسنة به، مبرراً ذلكك بقوله:" فأنه تربيتي، واذا جلس في الخلافة، سمحت نفس جدتـــه ووالده المقتدر، واخوته وغلمان ابيه باخـــراج المال" (مسكوية، (د.ت). ص 242).

ولكـــن جماعـــة عارضت هذا الرأي، وقالوا:" بعد الكد استرحنا ممن له والده وخاله وخدم، فنعود إلى تلك الحالة "(مسكوية(د.ت). ص242).

ثــم عــرض مؤنـــس الآمر على محمد بن المكتفي ولكنه رفض قبوله، وأخــيراً وقــع الاختــيار علـــى محمد بن المعتضد " القاهر بالله " وبايعه مؤنس وجماعـــته بعـــد أن أخـــذوا منهم المواثيق والعهود، لأنه كان غداراً وشديد الحب لسفك الدماء والبطش بأعدائه(المسعودي، (د.ت). غير أن مؤنس لم يكن مرتاحاً لهذا الاختــيار، وبخاصـــة بعـــد أن عجز القاهر عن تنفيذ ما اشترط مؤنس عليه من أرزاق البيعة للجند كما هي العادة(عريب، 1964).

كـــان القاهـــر قاسياً غداراً حقوداً صادر أل المقتدر وعذبهم، وأحضر أم المقـــتدر وهي مريضة فضربها ضرباً مبرحاً، وأحضر القضاة وأشهد عليها ببيع أملاكها بعد أن كشفت وجهها ورأوها، فلما عاينوا بها من الضرب بكوا، وما زال يعذبهـــا حـــتى ماتت معلقة بحبل، متناسباً مصيبتها في أبنها ومرضها(المسعودي، (د.ت).

أراد مؤنس ترشيح علي بن عيسى بن داوود بن الجراح للوزارة، غير أنه وجـــد معارضـــة مـــن يلـــبق وأبنه، بسبب سياسته الاقتصادية وقالوا:" إن الحال الحاضرة لا تحتمل أخلاق علي بن عيسى، وأنه يحتاج إلى من هو أسمح منه كفاً واوسع أخلاقاً" (مسكوية، (د.ت). ص242).

فاسندت الوزارة " إلى أبن مقلة، مما يدل على أن السلطة بيد الجيش الذي غداً يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في الدولة(الدوري، 1945).

لقـــد كان مؤنس سيد الموقف والمسيطر على الأمور، فعندما شغب الجند بعد البيعة على القاهر مطالبين بالأموال هجموا على دار الخليفة، لجأ القاهر إلى دار مؤنـــس، وشـــكا ما جرى له من الجند، وطلب من مؤنس إمهاله عشرة أيام لتدبير الأموال، فوافق مؤنس(أبن تغري بردى، 1963). وفي ذلك إشارة إلى تدهور مركز الخليفة، وأنه فقد زمام الأمور بجانب تحكم الجيش وأن الوضع ينذر بالشر.

أراد الخليفة القاهر بالله إعادة هيبة الخلافة، وهيمنتها على الأمور، وتركيز الســـلطة فـــي يـــد الخليفة، وإبعاد الجيش عن التدخل في إدارة الدولة العباسية، وخاصـــة بعد أن اكتشف مؤامرة تحاك في الخفاء ضده لخلعه عن العرش يديرها مؤنـــس وأبنه مع الوزير أبن مقلة، وقد استغل هؤلاء سوء علاقة القاهر بالجند،

فضـــيقوا علـــيه كثـــيراً، حتى أصبح يفتش كل شخص يدخل من الرجال والنساء والخـــدم(أبــن تغــري بردى، 1963). وبلغ به الأمر: "أن فتش لبنا حمل إلى القاهر فأدخل الحارس يده فيه لئلا يكون فيه فيه رقعة" (مسكوية،د.ت).ص260).

وقـــام الوزيـــر أبن مقلة بانقاص كثير من مخصصات الخليفة وبيع أكثر ضـــياعة واملاكــــه، وتوزيـــع اتمأنها على الجند صلة للبيع(مسكوية د.ت). ضاق الخلـــيفة ذرعاً بهذه التصرفات، وبدأ يخطط للتحلص منهم فعمل على تقريب فرق الـــيه وجعلهـــم حرصاً للقصر، وعند دخول الثلاثة إلى دار الخلافة أمر بالقبض عليهم وقتلهم جميعاً، لكن أبن مقلة هرب ولم يتم العثور عليه(مجهول، 1972).

نجح القاهر في استعادة هيبة الخلافة مؤقتاً وبخاصة بعد أن استوزر محمد بـــن القاسم برغبته، وقتل أبن المكتفي الذي رشح للخلافة، فهدأت الحالة وعظمت هيبة القاهر في النفوس(أبن الأثير، 1979).

كـــان ســـلوك القاهـــر وبطشــــه الشـــديد قـــد أخاف الجند، بالإضافة إلى التحريضـــات والدسائس من قبل أبن مقلة المختبئ، فكان أن تذمرت فرق الساجية مـــن التصـــرفات الخلافة، واتفقوا على خلعه، فاحاطوا القصر، وتمكنوا من أسر القاهر واعلنوا خلعه ثم سملت عيناه واودع السجن سنة (323هـ/ 934م) (الصولي، 1979؛ المسعودي (د.ت).

بعـــد ذلـــك قـــام قادة الجيش بإخراج أبي العباس بن المقتدر من السجن، وسلموا عليه بالخلافة وأجلسوه على السرير، ولقبوه الراضي بالله(المقدسي، 1916 ؛ مسكوية، د.ت).

ونتـــيجة لاشـــتداد الأزمـــة المالية في عهد الراضي، وعجز وزرائه عن معالجـــتها، وشغب الجند بسبب التأخر في صرف رواتبهم، اضطر الراضي إلى مراســـلة محمـــد بن رائق وهو بواسط، قلده الراضي لقب أمير الأمراء، ورداليه تدبـــير أعمـــال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي وفوض اليه تدبير الملكة، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر في الممالك، وأن يكنى وانفذ اليه الخلع واللواء، مقابل تكفلة نفقات الإدارة والجيش والحاشية (مسكوية، د.ت).

كـــان من النتائج المترتبة على ظهور منصب أمير الأمراء انتقال السلطة الفعلـــية بصـــورة رسمية إلى أمير الأمراء ولم يبق للخليفة إلا الاسم (تقـــي الدين، 1975). وبطل أمر الوزارة فلم يعد الوزير : "ينظر في شئ من أمر النواحي ولا الرواتب ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط "(مسكوية، د.ت،ص 351).

بيـــنما اصبح أمير الأمراء أبن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهم ليتصرفوا فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون، وبطلت بيوت المال(السامرائي، 1971).كان الراضي بالله :

"آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب له على المنبر يوم الجمعة، واخر خليفة جالس الجلساء واخر خليفة كانـــت نفقـــته وجوائـــزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالســـه وحجابـــه وأمـــوره تجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء"(أبن الجوزي، 1992، ص367).

وذلـــك قـــبل الآن يعهد بإمارة الأمراء إلى أبن رائق. وفي عهد الراضـــي زادت أوضـــاع الدولـــة سوءاً، حيث انفصلت الأقاليم والولايات عن جسم الدولة فقد:

"كانـــت البصـــرة وواسط في يد البريديين، وفارس في يد عماد الدولـــة بـــن بويـــه، وكرمان في يد أبي علي بن الياس، والري والجـــبل واصفهان في يد علي بن بويه، والموصل وديار ربيعة فـــي يـــد بنـــي حمـــدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج الآحشيدي، وأفريقيا في يد العلوي المهدي، وخرسان في يد نصر بن أحمد الساماني، وطبر ستان وجرحان في يد الديلم، والاندلس فـــي يد عبدالرحمن بن محمد الأموي الملقب بالناصر، والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي، ولم يبقى بيد الراضي غير بغداد والسواد"(مجهول،1972؛ مسكوية، (د.ت). ص350؛ ابو الفداء، 1997،ص122).

ويســتنتج من ذلك أن نفود الخليفة اقتصر على بغداد واقاليمها بعد انفصال الولايــات عن جسم الدولة، والنفوذ الحقيقي فيها لأمير الأمراء، ولعل أحسن من يصف هذا الوضع هو الخليفة نفسه حيث يقول :

" كأنــي بالـناس يقولون : أرضي هذا الخليفة بأن يدبر امره عبد تركــي حــتى يحكم في المال وينفرد بالتدبير؟ ولا يدرون أن هذا الأمر قد افسد من قبلي وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي فسلمت إلى قــوم ينسحبون علي ويجلسون في اليوم مرات ويقصدونني ليلاً، ويــريد كل واحد منهم أن اخصه دون صاحبه وان يكون له بيت مــال خــاص. ويتعدى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعــية بــل علي أسبابي، وأمر فيه بأمر فلا يمتثل ولا ينفذ ولا يســتعمل، وأكثر ما فيه أن يسألني كلب من كلابهم فلا أملك رده، وأن رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا "، ويستكمل الراضي قوله :" فرضــيت ضرورة به... وكان الأجود أن يكون الأمر كله لي كما كــان لمن مضى قبلي، ولكن لم يجر القضاء بهذا لي " (الصولي، 1979، ص42)

ويتضــح من كلام الراضي في تبرير موقفه ضعف مؤسسة الخلافة وعدم تمكــنها من تدبير أمورها، بحيث افسحت المجال أمام القادة العسكريين بالسيطرة علــى زمــام الحكم، وأن الراضي كان خليفة مدركاً للأمور الا أنه لم يستطع أن يعمل شئ لضعفه لذلك كان موقفه موقف الضعيف المستسلم(فوزي، 1998).

وفــي سنة (326هـ/938م). انتزع بجكم منصب أمير الأمراء من بن رائق، وكان الراضي محباً له ملتزماً بأمره في كل شؤون الدولة(الصولي،1979). ورغم ذلــك كــان يريد مرضاته حتى أنه كان يذوق الأكل والماء والنبيذ قبل أن يوضع بيــن يديــه، وذلــك لأنــه علم أن بجكم لا يشرب الماء إلا أن يذوقه من جاء به أمامــه(الصــولي،1979). لقــد حاول الراضي أن يتخلص من سيطرة أمير تركي بالاعــتماد علــى أمــير آخر لضعفه، إلا أنه كان يتخلص من سيطرة ليقع تحت سيطرة آخر.

أرسل الراضي بالله إلى بجكم في واسط لما اشتد المرض به، وطلب منه أن يختار أبنه ولياً للعهد ليكون خليفة بعد وفاته(مسكوية، (د.ت)؛ أبن الجوزي، 1993). لكن بجكم لم يأخذ برأي الراضي، فلما توفي الخليفة كان بجكم بواسط، فورد كتابه مع وزيره ابي عبدالله الكوفي يأمره فيه أن يجتمع مع وزير الخليفة الراضي وكل من تقلد الوزارة والقضاء ورؤساء الكتاب وبني هاشم ووجوه البلد ليتشاوروا في اختيار الخليفة (الصولي، 1979).

اختار المجتمعون ابراهيم بن المقتدر، ثم أقر بجكم هذا الاختيار بعد أن استشار الوزير علي بن عيسى آل الجراح، ولقب نفسه المتقي لله سنة(329هـ/940 م). وسير الخلع واللواء إلى بجكم بواسط(الصولي،1979؛ المسعودي، د.ت). وهذا دلالة واضحة على مدى النفوذ الواسع الذي تمتع به أمير الأمراء، وأنه هو السيد المطلق بالخلافة.

بعد مقتل أمير الأمراء بجكم، اشتد الصراع حول منصب أمير الأمراء، وسارت أمور الخلافة العباسية من سيء إلى أسوأ في عهد المتقي، وانتشرت الفوضى والاضطراب في بغداد، ففي سنة (329هـ/940م). احتل البريدي بغداد، وطالب الخليفة بدفع خمسمائة دينار، وبعث رسالة إلى الخليفة المتقي يهدده فيها ويقول : " أما سمعت خبر المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله لئن خليتك والاولياء لتطلبن نفسك فلا تجدها" (مسكوية، (د.ت).ص16). وإزاء هذا التهديد بالقتل، اضطر الخليفة المتقي إلى دفع المال(الصولي، 1979).

احتل البريدي بغداد للمرة الثانية سنة (330هـ /949م). بعد خروجه منها، فهرب الخليفة المتقي من بغداد إلى بني حمدان في الموصل، حيث قام جيش البريدي بنهب دار الخلافة، وانتهكوا الحريم، وفعلوا مالم يفعله أحد قبلهم(الصولي، 1979؛ المسعودي،1938). ولما وصل الخليفة إلى ناصر الدولة بن حمدان قلده أمره الأمراء، وبعد ذلك توجه الخليفة المتقي وناصر الدولة إلى بغداد، ولما اقتربا هرب البريدي عنها (مسكوية، د.ت).ولم تطل اقامة ناصر الدولة في بغداد طويلاً، اذا انتهت مدة امارته التي دامت ثلاثة عشر شهراً (مسكوية، د.ت). اذ عاد إلى الموصل بسبب سوء علاقته بالخليفة المتقي،وهزيمة اخيه سيف الدولة في

واسـط علــى يد الاتراك بقيادة توزون(الصولي، 1979). فدخل توزون بغداد بعد هـروب ناصـر الدولـة عـنها، فاسـتقبله الخلـيفة المتقــي وخلع عليه بأمرة الأمراء(الصولي، 1979). سنــة (331هــ/ 942م). حيث انفرد بالسيطرة على مرافق الدولة وأخذ يصرف الأمور من مقره بواسط(أبن الجوزي، 1992).

وبهــذا أصبح الأمراء الحكام الحقيقين في حين أن الخلفاء اصبحوا اشباحاً لسلطأنهم الزائل(تسترشتين، د.ت).

هــرب الخليفة المتقي لله إلى الموصل خوفاً من توزون، لأنه لم يكن عنده شئ من حسن السياسة، فاستوحش منه المتقي، وقد رحب به الحمدانيون في بادئ الأمــر، غير أن طول فترة أقامته عندهم، أدت إلى تثاقلهم منه، وكتب المتقي إلى الاخشيد صاحب مصر يشكوا اليه حاله وما هو فيه، حيث وافاه الأخشيد بالرقة، وطلــب من المتقي أن يسير معه إلى مصر، أو المقام بالرقة، وخوفه من توزون لكــن الخليفة فضل التوجه إلى بغداد(المسعودي، د.ت). فأرسل إلى توزون يطلب منه ان يعود إلى بغداد، فأظهر توزون الرغبة في ذلك وحلف للمتقي ان لا يغدر بــه، فصـــدق المتقــي ذلك اليمين، وسار إلى بغداد، فلقيه توزون، ولما رآه قبل الأرض وقــال:" هانذا قد وفيت بيميني والطاعة لك، ثم أو عز إلى جنده بالقبض عليه، وسمل عيناه وحبسه".(أبن الجوزي،1992؛ أبن الطقطقا،1966).

بعد ذلك بايع توزون عبدالله بن المكتفي ولقبه المستكفي بالله سنة (333هــ / 944م). وبقــي تــوزون يصرف شؤون الدولة حتى سنــة (334هـ/945م)(الصولي، 1979). ثــم تولــى أبن شيرزد، وكانت مدته أميرا للأمراء ثلاثة أشهر وعشرين يوما، حيث انتهت بدخول البويهيين بغداد(مسكوية، د.ت). ويبدو ان المستكفي كان ضــعيفاً فقد خلع على أمير الأمراء توزون، وفوض اليه تصريف شؤون الدولة، وهكــذا لم يكن للمستكفي منذ بداية خلافته حول و لا قوة، وأنما كان رمزاً لوحدة الدولة، ظلاً يحكم عن طريقه أمير الأمراء (فوزي، 1998، ص65).

لقد كان نظام امرة الأمراء تجربة فاشلة أدخلها الخليفة الراضي، لم تستطع ان تــنقذ الخلافــة مــن ازمتها السياسية والمالية، بل زادت في النزاع بين القادة للاستئثار بالحكم(فوزي، 1998). وكان وصول البويهيين إلى مقر الخلافة العباسية،

والتـبدل الـذي نجـم عن ذلك يمكن اعتباره استمراراً لعصر إمره الأمراء في اتجاهاتـه، فقـد بقي الخليفة شبحاً للسيادة، وساد الاتجاه العسكري في مؤسسات الدولة، وحل الأمراء الجدد محل القدامى(الدوري،1945).

امـا بالنسبة للحياة الاقتصادية في فترة امرة الأمراء، فأنها لم تكن بأفضل حـالاً مـن عهـد المقتدر بل استمر التدهور في الحالة العامة، حيث المجاعات والأوبئة، وازمات الغلاء، وذلك بسبب التدهور الكبير في الحياة الزراعية، العائد إلى تخريب القنوات نتيجة الحروب المتواصلة بين المتنافسين على إمرة الأمراء، بالاضـافة إلى نهب الجند لأموال الناس وتعديهم عليها، ومن ذلك ما حدث اثناء النزاع بين أبن رائق وبجكم على امرة الأمراء فقد أقدم أبن رائق على خرق نهر ديـإلى، ممـا تسـبب فـي تدمـير المزروعات المعتمدة في اروائها على هذا النهر"(الصولي، 1979)،

"وفعـل افعـالاً كانت سبباً لبثق النهروان، الذي خربت به الدنيا وافتقر الناس وغلت الاسعار "(الصولي،1979، ص105).

ومـن الاسـباب المهمـة في تدهور الزراعة في فترة امرة الأمراء، عدم الاهـتمام بانظمة الري، واصلاح القنوات والبثوق، ومن ذلك ما حدث سنة 328 هـ/939م.

"عندما انبثق بثق في نواحي الانبار واجتاح القرى، وأغرق الناس والـبهائم، ودخـل شـوارع الجانب الغربي من بغداد، وتساقطت الدور والأبنية"(أبن الجوزي،1992؛ ص382؛ أبن تغري بردى، النجوم الزاهرة، 1963، ص38). ولم تبذل أي محاولة جدية لسد هذا البثق، وفي سنة (329هـ/940م). "انبثق نهر الرفيل، ونهر بوق، فلم يقع عـناية بتلافـيها حتى خربت بادوريا بضعة عشر سنة "(مسكوية، (د.ت). ص9).

وفـي سـنـة (330هـ/940م). انبثق نهر عيسى، وباءت محاولات امير الأمـراء في اصلاحه بالفشل(الصولي، 1979؛الدوري،1974). مما سبب في تدمير الأراضي المعتمدة عليه.

وكذلك كان للعوامل الطبيعية دور في تدهور الحياة الزراعية وزيادة معاناة الناس وبؤسهم وشقائهم، وتمثل ذلك في قلة الأمطار في بعض السنين والتي كانت تؤدي إلى الضرر بالزراعة وبالتالي قلة في المحاصيل الزراعية، ففي سنة 324 هـــ/935م، ارتفعــت الاســعار فـــي بغـــداد ارتفاعاً مفرطاً، حتى عدم الخبز، وانتشـــرت المجاعـــات، حتى بيع كر القمح بماية وعشرين ديناراً، ونتج عن ذلك وفـــاة اعـــداد كبـــيرة من الناس، حتى أنه يجعل بالنعش اثنين، وحفرت الحفائر الكبرى وألقى في الحفرة الواحدة خلق كثير(الاصـــفهاني،1961). وفي سنة (329هـ/ 940م). قـــل فـــيها المطـــر، واشتد الغلاء وبلغ سعر الكر الواحد من الدقيق ماية وثلاثيـــن ديـــناراً، واكل الناس النخالة والحشيش، فكثر الموت حتى كان يدفن في قـــبر واحـــد جماعة من غير غسيل ولا صلاة، ورخص العقار والقماش وبيع ما ثمنه دنانير بعدد من الدراهم(النويري،1985). وفي السنة التالية (330هـ/941م)

"اشـــتد القحـــط بـــبغداد، وارتفعت الأسعار حتى بيع كر الحنطة بـــثلاثمائة وستة عشر ديناراً، فهلك خلق كثير، واكل الناس الميتة وكـــثر المــــــرض، ولم تشهـــد بغداد قحط مثله ابـــداً"(مسكوية، د.ت، ص25؛ السيوطي، 199، ص394)

وفي سنة (331هـ/942م). ارتفعت الاسعار ببغداد حتى بيع اربعة ارطال من الخبز بدرهم، واستمر ارتفاع الأسعار في السنوات التالية، وكان اشدها سنة (334 هـــ/945م). حيـــث انتشرت المجاعات وارتفعت الأسعار بشكل مفرط. حتى أكل الـــناس الميـــتة والكلاب، واكل الناس أوراق الشوك، فاكثروا منه وكان يسلقون حبة، فلحق امراض واورام في احشائهم، وكثر فيهم الموتى حتى عجز الناس عن دفـــن الموتـــى فكانـــت الكـــلاب تأكل لحومهم، وانحدر كثير من اهل بغداد إلى البصـــرة، فمـــات أكـــثرهم في الطريق، وبيعت الدور والعقارات بالخبز(مسكوية، د.ت).

ومـــن شدة هذه المجاعة وقسوتها على الناس، هرب الرجال وبقيت النساء في بغداد.

" فكن يخرجن النساء المخدرات عشرين من بيوتهن، يمسكن بعضهن البعض، ويصحن الجوع الجوع، ثم تسقط الواحدة تلو الأخرى ميتة من الجوع "(الاصفهاني، 1961، ص158).

اما التجارة فقد تجمعت عوامل عدة ادت إلى توقفها فبالإضافة إلى ما ذكر سابقاً من تدهور الحياة الزراعية وقلة المحاصيل، "بسبب ما اصاب الأنهار وقنوات الري من تخريب، كانت الحروب الطاحنة ونفقاتها بين الأمراء المتنازعين الأثر الواضح في توقف التجارة، بالاضافة إلى ما فرضه بعض الأمراء من الضرائب على السلع الذي ادى بدوره إلى ارتفاع اثمأنها، وكذلك لفقدان الأمن وازدياد اعداد اللصوص وقطاع الطرق، كل ذلك ادى إلى تدهور في الحركة التجارية، وتهريب كثير من التجار وموظفي الدولة والقواد أموالهم خوفاً من الجور والتعسف (تقي الدين، 1975).

كان عصر امرة الأمراء عصر تدهور اقتصادي، حيث نقصت واردات الدولة نتيجة استقلال اكثر ولاياتها، وتدهور الحالة الزراعية، فضلاً عما خربته الحروب القائمة بين اميري الأمراء في تنافسهم على السلطة، وتوقفت التجارة نتجة لفقدان الأمن، أدى كل ذلك أزمة اقتصادية حادة أفسدت الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وزعزعت اركان السلطة المركزية، ومهدت السبيل أمام الاحتلال البويهي لبغداد.

ومن خلال ما سبق فقد حاولنا إعطاء صورة واضحة للعصر الذي عاش به الوزير علي بن عيسى بن الجراح، وذلك للتعرف على الأوضاع السائدة في الدولة العباسية خلال فترة الدراسة، وسنتطرق خلال الفصول القادمة إلى الدور الذي لعبه، وأهم الأعمال التي قام بها الوزير علي بن عيسى بالدولة خلال تلك الأوضاع.

الفصل الثاني

علي بن عيسى حياته ونشأته

اسمه ومولده

هو علي بن عيسى بن داوود بن الجراح(الصابي، 1958؛ الخطيب البغدادي، 1997؛ياقوت الحموي، 1993). بن مهاجر حسين بن صبار بخت بن شهريار(الصفدي، 2000). البغدادي(أبن الجوزي،1992؛ الذهبي، 1982). وكنيته أبو الحسن (الخطيب البغدادي، 1997).

ولد في شهر جمادي الآخرة من عام (245هـ/859م)(الصابي، 1958؛ الخطيب البغدادي؛أبن الجوزي، 1992). بدير قنى (، ويعود نسب بني الجراح إلى أحد الأسر الفارسية القديمة حيث كان جدهم من ملوك الفرس القدماء، ويؤكد أبن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب ذلك بقوله: "أن من ملوك الفرس دارا بن دارا، ومن ولده الجراح رهط الوزير علي بن عيسى بن الجراح"(أبن حزم، 1991).

وقد لمح البحتري إلى نسب آل الجراح هذا في قصيدة قال فيها:

ملوك لهم عادة في القرى توارثها حسب عن حسب

وجاء في قصيدة أخرى له، مدح بها الحسن بن مخلد:

طيفٌ ألم فَحَيا عند مشهدة	قد كان يشفى المُعنى من تلدده
لتسترين قوافي الشعر معجلةً	مابين سُيره المثلى وشردهِ
المُقْتدى وملوكُ العجْمِ خاضعة	لفرعه المُعتلى فيهم ومحتده
والمرتقى شرف العلياء ممتثلاً	مكان حدة جراحه مِنْهُ ومخلده
انت الكريمُ،وقد قدمت مبتدئاً	وعداً ؛ وكل كريمٍ عند موعده

وقد ذكر أبن حزم أيضا رواية أخرى، إلى أن بني الجراح يمتدون بصلة إلى الملك الفارسي كسرى أنوشروان، فقد ذكر أن أسمه يزدجر بن شهريارد

ولعل شهريار هذا من أجداد آل الجراح الأوائل أبن كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان بن قباد بن فيروز بن يزوجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الآثيم بن بهرام بن سابور بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرا بن بهرام بن هرمز بن سابور بن ارد شير بن بابك وهو من بني ساسان بن بهمن أخي دارا الأكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بست شب أول من أظهر دين المحوسبة بن لهراسب(أبن حزم، 1991).

وقد أكد البحتري ذلك في مدحه آل الجراح بقوله:

اني وجدتُ بني الجراح اهلُ ندىً	غمرٍ واهلُ تقىً في السر والعلنِ
لله انتم! فأنتم اهل مأثرةٍ	في المجد معروفة الاعلام والسننِ
قرم أشاد بعلياهُمْ وورثهُمُ	كسرى بن هرمز مَجداً واضح السنن
أيام جلى أنوشروان جدكم	غيابه الذل عن سيف بن ذي يزن
لنتم بنو المنعم المجدي،ونحن بنو	من فاز منكم بعظم الطول والمننِ

أن نظرت لسلسة أسماء نسب آل الجراح، لتؤكد الأصل الفارسي لهذه الأسرة، وللأسف لم تذكر المصادر أية معلومات عن ماضي الجراح وسيرة حياته، ولعله هو أول من اختلط بالعرب المسلمين واعتنق الإسلام، كون اسمه هو بداية السلسلة لأسماء آل الجراج.

نشأته وثقافته:

نشأ علي بن عيسى في بيت علم وأدب ومعرفة، عمل أفراده في خدمة الدولة العباسية حيث ترك الجراح عدداً من الأبناء الذين عملوا في سلك الإدارة بالدولة، فجده داوود كان من وجوه الكتاب في عهد الخليفة المستعين بالله(أبن عساكر، 1992؛ حاجي خليفة، (د.ت) (واشتغل بالعلم، وألف مجموعة من الكتب بعضها في حقل التاريخ، والبعض الآخر في مجال عمله في الدواوين وهذه الكتب هي: كتاب التاريخ وكتاب أخبار الكتّاب، وكتاب الرسائل، وكتاب الأمم السالفة (أبن أبن النديم،1988).

أمـــا أبـــوه فقـــد عمـــل كاتـــبا بالدواويـــن كأبـــيه، حتى أصبح من كبار الكـــتاب(الخطيب البغدادي، 1997؛ أبن الجوزي، 1992). أما عمه محمد بن داوود بن الجـــراح، فقـــد كان "عالما من علماء الكتاب فاضلا، أخذ عن العلماء والفصحاء والشـــعراء، عارفا بأيام الناس وأخبار الخلفـــاء والوزراء"(الصابي، 1958،ص 109)،و قـــال عـــنه الخطيـــب الـــبغدادي "كـــان فـــي عصره أو حد في العلم بالأخبار"(الخطيب البغدادي،1997،ص333).

وقد ألف مجموعة من الكتب تظهر أهتمامه الكبير بالشعر والشعراء، وهذه الكتـــب هـــي: كتاب الورقة في أخبار الشعراء، كتب به إلى أبن المنجم، وكتاب الشـــعر والشـــعراء، وكـــتاب من سمي من الشعراء عمر في الجاهلية والإسلام، وكـــتاب الـــوزراء، وكتاب الأربعـــة على مثال كتاب أبـــــي هفـــان (أبن النديم، 1988).

وكـــان أخوهم عبد الرحمن كاتباً سديداً(أبن النديم،1988؛الصفدي،2000). من وجـــوه الكتاب تولى الوزارة للخليفة الراضي بالله (324هـ/936م) (أبن النديم، 1988؛ الصـــفدي،2000). وألـــف مجموعـــة مـــن الكتـــب وتكلم فيها عن كتاب الخراج وأخبارهم، وكذلك ألف في التاريخ ومن كتبه: كتاب سيرة أهل الخراج وأخبارهم وأنســـابهم في القديم والحديث، وكتاب التاريخ من سنة سبعين ومائتين إلى أيامه، وكتاب الخراج وهو كتاب كبير لم يتمه(أبن النديم، 1979).

أمـــا الحســـن بن مخلد بن داوود بن الجراح، فقد عرف بحبه لأهل العلم، فاتصـــل بالعالم الكبير إبراهيم بن العباس الصولي، الذي كان على قدر من العلم والأدب(المقريـــزي، 1991). ولم تذكر المصادر له أية مؤلفات وقد يكون ذلك لعدم توفر الوقت الكافي له بسبب انشغاله بالأعمال الديوانية.

لقـــد كـــان لنشأة علي بن عيسى في أسرة عريقة بالعلم والأدب، أن تربّى علي تربية إسلامية صحيحة، فدرس العلوم الدينية، حيث حفظ القرآن الكريم وهو صـــغير الســـن، وكـــان عالما بمعانيه وتفسيره(أبن الآبار، 1966). واشتغل بعلوم الحديـــث، فقـــد ســـمع عن أحمد بن بديل الكوفي، والحسن بن محمد الزعفراني، وحمـــيد بن الربيع، وعمر بن شبه(الخطيب البغدادي،1997؛الذهبي،1982). كما روى

عـــنه أبـــنه عيسى، وسليمان بن احمد الطهراني، وأبو طاهر محمد بن احمـــــد الذهلـــــــي الفاضـــلـــي(أبن عساكر،1992). وقال الحنبلي عنه: "أنه كان محدثا، عالما، خيرا، كبير الشأن في الإسناد"(الحنبلي، د.ت).كذلك كان مهتما بالشعر فقد وصفه الصولي بقوله:

"ولا أعلـــم بأنني خاطبت أحـــدا أعلم منه بالشعـــر"(السيوطي،1967، ص 134).بـــل أنـــه هـــو نفسه كانى شاعراً ومن نضمه قوله في نكبةً تعرض لها : (الخطيب البغدادي، 1997؛ الصفدي، 2000).

ومـــن يَـــكُ عنـــي ســـائلاً لشماتةً	لِمَـــا نأبنـــي أوْ شـــامتاً غير سائلِ
فقد أبرزتْ مِني الخطوب أبن حرة	صـــبورِ علـــى أهوالِ تِلك الزلازل
إذا ســرّكم لــم يبطر وليس بنكبة	إذا نزلـــت بالخاشِـــع المتضـــائلِ

نشـــأ علـــي بن عيسى على حب العلم وأهله، والإكثار من مجالسه العلماء فكـــان مجلســـه دائماً موفوراً بهم، حتى أصبح من بلغاء زمأنه، حيث قال الذهبي عنه:

> "كـــان علـــى الحقيقة غنياً شاكراً، ينطوي على دين متين وعلم وفضل..... كثير الصدقات والصلوات مجلسه موفوراً بالعلماء، وكـــان من بلغاء زمأنه"(الذهبي، 1982، ص299). وكان أيضا شـــديد التصون، له مذهب في الترسل لا يلحقه به أحد"(الصنبي، 1989).

كـــان بيـــته ملتقى العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء، تعقد فيه الحلقات الدينـــية، والمـــناظرات العلمـــية، ومـــن أشهر مناظراته ما كان مع الحسين بن منصور الحلاج، الذي ادعي الربوبية، ففي سنة (301هـ/913م). قبض على الحسين بـــن منصور الحلاج، وأدخل بغداد على جمل، فحبس وبعد ذلك أحضره الوزير علي بن عيسى وناظره، فلم يجده يقرأ القرآن، ولا يعرف في الفقه شيئا، ولا من الحديـــث ولا مـــن الأخبار ولا الشعر ولا اللغة، فقال له علي بن عيسى: "تعلمك

الطهـــور والفروض، أجدى من رسائل لا تدري ما تقول فيها، ثم تدعي الألوهية، فأمر به فصلب حيا حتى رآه الناس"(أبن الجوزي،1992،ص142).

وكان الوزير علي بن عيسى على علاقة قوية مع المؤرخ الكبير الطبري، صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك، حيث كان هذا الأخير فقيها ومحدثاً، لذا كان يتصـــدى لأراء الحـــنابلة الذيـــن كانوا يقولون أنه محدثٌ وليس فقيها(متز،د.ت). ونتـــيجة لهـــذا الخـــلاف بين الطرفين، حدد موعداً في دار الوزير للمناظرة بين الطـــبري والحـــنابلة لبيان أيهما على حق في أرائه اتجاه الآخر، لكن الحنابلة لم يحضـــروا(أبـــن تغري بردي، 1963). وقد يكون ذلك بسبب علمهم بمعرفة الطبري لعلم الفقه وتمكنه منه، بالإضافة إلى معرفة الوزير علي بن عيسى بأصول الفقه.

ولم تقتصر معرفة علي بن عيسى وثقافته على النواحي الدينية، بل شملت ثقافته أيضا الأمور الإدارية والديوانية والمالية بالدولة، فعندما قام قدامة بن جعفر في تأليف كتابه "الخراج"، كان يستشير الوزير علي بن عيسى في كل ما يكتب، ولما انتهى من تأليفه، قام بعرضـــــه عليه، فأشـــاد به ومدحـــــه وأثـنى عليـــه (التوحيدي، 1985). وقد ترك الوزير مجموعة من الكتب عكس من خلال اسمائها التزامها الديني، اذ أن معظمها يتعلق بالعلوم الدينية(الداوودي، (د.ت)؛ كمالة، (د.ت). غير أنه لهذه اللحظة لم يعثر على هذه الكتب، وربما كان مصيرها الضياع، وهذه الكتب هي: كتاب جامع الدعاء وكتاب معاني القرآن وتفسيره، أعانة عليه أبو الحسن الخزاز وأبو بكر بن مجاهد، وكتاب سياسة المملكة وسيرة الخلفاء(أبن النديم، 1988).

صفاته:

أتصـــف علـــي بن عيسى بصفات طيبة كثيرة، تولدت عن نشأته في بيت مشـــهور بالعلم والأدب، وأنتمائه إلى أسرة فارسية عريقة اعتنقت الإسلام وآمنت بـــه، وحســـن تربيـــته التـــي تربى عليها، والتي أساسها الأهتمام بالعلوم الدينية، بالإضـــافة إلـــى تمـــتعه بثقافة كتاب الدواوين في عصره حتى أصبح من شيوخ الكـــتاب. كان علي بن عيسى رجلا عاقلا متدينا متصونا متعففا، عارفا بالأعمال

حافضا للأموال كثير الوقار والجد، بعيدا عن التبذل والهزل. وكانت حياته حافلة بالصـــدق والأمانـــة والإخلاص، ومحبا لعمل الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين فقـيل فـيه: "كـان رجـلا عـاقلا متديـنا، متصـونا،ظلفا متعففا، كثير الوقار والجد"(الصافي،1958،ص161).

ووصفه الخطيب البغدادي بقوله:

"كان صدوقا دينا فاضلا عفيفا في ولايته، محمودا في وزارته، وكان كثير المعروف وقراءة القرآن، والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، ولم يزل علي بن عيسى من حداثته معروفا بالستر والصيانة والصـــلاح والديانة"(الخطيب البغدادي، 1997،ص14)

ويؤيد أبن الجوزي هذه الصفات فقال عنه: "وكان صدوقا فاضلا، عفيفا في ولايته كثير المعروف وقراءة القرآن والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، يكثر من مجالستهم"(أبن الجوزي، 1992، ص57).

كان علي بن عيسى متواضعا، فقال الصابي:

أنه ما روي قط متبذل في مجلسه ولا متحففاً في ملبسه ولا فارق الدرعة إلا والقمـيص من دونها والمبطنة من دونه ولا الخف في أكثر أوقاته إلا إذا أوى إلى فراشه أو قعد مع حرمه(الصابي، 1958، ص352).

وقـد بلغ ثمن هذه الملابس عشرين ديناراً(الدوري،1974).وقيل أنه ما لبس ثوبا يزيد ثمنه على ستة دنانير(الخطيب البغدادي، 1997؛ياقوت الحموي،1993).

واشـتهر كذلك بأمانته ونزاهته وعفته، حيث وصفه مؤنس المضفر، قائد جـيش الخلـيفة (295320هـ/907932م). بأنـه: "أشد تعففا، وأظهر كفاية، وأكثر أمانـة"(مسكوية، (د.ت). ص26). أما ياقوت الحموي فقال عنه: "ولم يرى أعف بطنا ولساناً وفرجاً منه"(ياقوت الحموي، 1993، ص1823).

وقال عنه عامل المعونة في مصر زمن الخليفة المقتدر:

"أنت أعف الوزراء، ومن لا يعرف له نظير"(الصابي، 1958، ص 347). وقـد مـدح الخليفة المقتدر نفسه أمانة علي بن عيسى في

حافضا للأموال كثير الوقار والجد، بعيدا عن التبذل والهزل. وكانت حياته حافلة بالصــدق والأمانــة والإخلاص، ومحبا لعمل الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين فقــيل فــيه: "كــان رجــلا عــاقلا متديــنا، متصــونا،ظلفا متعففا، كثير الوقار والجد"(الصافي،1958،ص161).

ووصفه الخطيب البغدادي بقوله:

"كان صدوقا دينا فاضلا عفيفا في ولايته، محمودا في وزارته، وكان كثير المعروف وقراءة القرآن، والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، ولم يزل علي بن عيسى من حداثته معروفا بالستر والصيانة والصـــــلاح والديانة"(الخطيب البغدادي، 1997،ص14)

ويؤيد أبن الجوزي هذه الصفات فقال عنه: "وكان صدوقا فاضلا، عفيفا في ولايته كثير المعروف وقراءة القرآن والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، يكثر من مجالستهم"(أبن الجوزي، 1992، ص57).

كان علي بن عيسى متواضعا، فقال الصابي:

أنه ما روي قط متبذل في مجلسه ولا متحففاً في ملبسه ولا فارق الدرعة إلا والقمــيص من دونها والمبطنة من دونه ولا الخف في أكثر أوقاته إلا إذا أوى إلى فراشه أو قعد مع حرمه(الصابي، 1958، ص352).

وقــد بلغ ثمن هذه الملابس عشرين ديناراً(الدوري،1974).وقيل أنه ما لبس ثوبا يزيد ثمنه على ستة دنانير(الخطيب البغدادي، 1997؛ياقوت الحموي،1993).

واشــتهر كذلك بأمانته ونزاهته وعفته، حيث وصفه مؤنس المضفر، قائد جــيش الخلــيفة (295320هـــ/907932م). بأنــه: "أشد تعففا، وأظهر كفاية، وأكثر أمانــة"(مسكوية، (د.ت). ص26). أما ياقوت الحموي فقال عنه: "ولم يرى أعف بطنا ولساناً وفرجاً منه"(ياقوت الحموي، 1993، ص1823).

وقال عنه عامل المعونة في مصر زمن الخليفة المقتدر:

"أنت أعف الوزراء، ومن لا يعرف له نظير"(الصابي، 1958، ص 347). وقــد مــدح الخليفة المقتدر نفسه أمانة علي بن عيسى في

إدارة شؤون الدولة، فقال عنه: "ولم يبق ممن يصلح لتدبير المملكة غيره لأمانته ودينه"(أبن الاثير، 1979، ص53).

ونقل ياقوت والذهبي قول الصولي: "ولا أعلم أنه وزر لبني العباس وزيراً يشبه في زهده وعفته"(ياقوت الحموي، 1993،ص1823؛ الذهبي، 1982، 299).

وعرف عن علي بن عيسى الزهد في الدنيا، فلم يكن في يوم من الأيام يسعى لتولي منصب ما، سواء في مجال الكتابة أو في مجال الوزارة، وإنما كان الخلفاء هم الذين يكلفونه بالأعمال، حيث كان يرى أن قيامه بهذا العمل هو من باب الجهاد في سبيل الله، والخوف من وقوع الفتن بين المسلمين، وأن وجوده بهذا المنصب قد يكون حائلا لوقعها، وقد عبر عن ذلك بقوله: "ما كنت أحتسب بمقامي في هذا الأمر إلا أني مجاهد في سبيل الله، خوفا من فتنة لا تبقي ولا تذر"(أبن الآبار، 1986، ص186).

وكان علي بن عيسى موصوفا بحبه لعمل الخير، والانفاق في سبيل الله والتصدق على الفقراء، ومساعدة المحتاجين، فقد كان ينفق على خمسة وأربعين ألف إنسان نفقات تكفيهم(ياقوت الحموي، 1993). وبلغ دخله من ضياعه في السنة سبعمائة ألف دينار، يخرج منها في وجوه البر ستمائة وستين ألف دينار، وينفق أربعين ألفاً على نفسه وأهله(الخطيب البغدادي، 1997). وفي حالة عزله عن الوزارة ولزومه بينه، فقد بلغت غلته نيفا وثمانين ألف دينار، يخرج منها في وجوه البر نيفا وأربعين ألفاً، وينفق الباقي على نفسه وولده(ياقوت الحموي، 1993؛ الصفدي،2000).

ولما تولى الوزارة، قام علي بن عيسى بحمل ما يخصص عادة للوزراء للنفقة في أثناء توليهم الوزراء إلى بيت المال، حفاظا وصونا لمال الدولة، ولأنه يرى أن هناك وجوها أحق في إنفاق هذه الأموال، في ظل دولة كانت تعاني من أزمات مالية متلاحقة، بالإضافة إلى قناعته أن ما يملك من أموال تكفيه وأهله دون الحاجة إلى أخذ مخصصات الوزارة، لذلك عندما صودر بعد وزارته الأولى

سـنة 301هـ/913م، قال المقتدر بالله: "قد استحييت من الله في مال علي بن عيسى فقد أخذ ته ظلما"(أبن الأبار، 1986، ص187)

وهـذا دليل على أمانة علي بن عيسى أثناء توليه الوزارة، وحرصه على أمـوال الدولـة، في وقت كان منصب الوزارة من أهم الوسائل السريعة لتكوين الثروة الطائلة عن طريق الاختلاس ونهب الأموال بطرق مختلفة بالدولة.

ومن الخصال الحميدة التي اتصف بها علي بن عيسى، أنه كان كثير البر والمعـروف والانفـاق علـى أولاد الصحابة في المدينة، ففي أثناء توليه ديوان المغـرب، كانت جماعة من أهل العلم تحضر مائدته كل ليلة، ثم بدأت تنقص عند وزارته، فلما سئل عن سبب ذلك؛ قالوا: "أن الوزير علي بن عيسى قد اقتصر في نفقـته وأجـرى الباقي على أولاد الصحابة في المدينة"(ياقوت الحموي، 1993،ص 1824).

ومـن شـدة حبه لعمل الخير، والتصدق في سبيل الله، وانفاقه لكل ما يقع تحـت يده من أموال ودون تأخير، وتفضيل عمل الخير ومساعدة المحتاجين على شـؤونه الخاصـة، ومن ذلك أن داره التي كانت على دجله احتاجت مسناتها إلى صيانة وقدرت تكاليفها بثلاثة آلاف دينار، ولما أحضروا المال إليه لعمل الصيانة اللازمة قال: "صرفها في الصدقة أولى"(ياقوت الحموي، 1993، ص1824).

ولـم يكـن علي بن عيسى يتوانى في عمل الخير والاسراع به، إينما كان سـواء في منصبه أو خارجه، ففي سنة (300هـ/912م). وأثناء وجوده في مكه بعد نفـيه إليها على أثر فتنة أبن المعتز، حيث وجد الماء ضيقاً على أهلها، وأصحاب السـلطان يسخرون جمال الناس وحميرهم لنقله من جدة إليها، فابتاع عددا كثيرا مـن الجمال والحمير ووقفها على حمل الماء، وأقام لها العلوف ومنع من السخرة وحضـرها، وحفر بئرا عظيما، فخرجت عذبا شروبا، وسماها الجراحية. وابتاع عيـنا غزيـرة بـألف دينار، وفتحها ووسعها حتى كثر ماؤها واتسع الماء بمكة، ووصل الرفق به إلى أهل الضعف والمسكنة(الصابي، 1958).

وعـرف عـن علـي بن عيسى الإيثار، وتقديم مصالح المسلمين وقضاء حوائجهـم وتفـريج كـروبهم على مصلحته الخاصة، ومن ذلك أن دارا له على

دجلـــه، فقام كل واحد من جيرأنه بعمل مسناة لداره إلى الماء من أجل زيادة ثمن العقـــار، ويقيت دار علي بن عيسى مستورة بالوسط، فكلمه أحد إخوته بضرورة عمـــل مســـناة لداره، لكي يصبح ثمنها موازي لثمن دور جيرأنه، وقدر لذلك من الـــنفقة بمائة الف درهم، وبعد أن جمع المال اللازم بذلك، قام علي بن عيسى إلى خازنه وأمره بصرف المال في ضعفاء آل رسول الله –صلى الله عليه وسلم، وفي فقراء المسلمين ومساكينهم، وبقي ماء داره محبوساً(الصابي، 1958).

وحـــتى فـــي أشـــد الأوقـــات حـــرجا وصـــعوبة، كـــان علي بن عيسى ســـباقا لعمـــل الخير، ومديد العون والمساعدة لكل محتاج وفقير يطلبها حتى كان في بعض الأوقات يبديهم على نفسه وحياته، فبعد استيلاء البريدي على بغداد سنة (329هـ/941م). قام بنهب أموال الناس حتى انتشرت المجاعة بينهم، فنصح جماعة من أصحاب علي بن عيسى بالهرب من بغداد، وخوفوه من بطش البريدي، فقال: "أيهرب مخلوق إلى مخلوق؟! أصرفوا ما أعددته لنفقة لطريق على الفقراء"، فلما التقاد البريدي لم يكرم احد غيره(ياقوت الحموي، 1993).

وفـــي أثناء الأزمات والكوارث وانتشار المجاعات في بغداد، كان علي بن عيسى من أوائل السباقين لعمل الخير، والتخفيف عن أصحاب الحاجات ومساعدة الفقـــراء قدر المستطاع، لا يرجو من وراء ذلك إلاّ كسب الأجر والثواب من الله ســـبحأنه وتعإلى، ففي سنة (330هـــ/942م). أحتل البريدي بغداد للمرة الثانية، وقام جيشه بالاستيلاء على أموال الناس ونهب دورهم، فأدى ذلك إلى كثرة الموت بين الناس، فقام علي بن عيسى بتكفين ما لا يحصى من الفقراء والغرباء، حتى نفذ ما كان عنده فاستدان لذلك أموالا كثيرة(ياقوت الحموي، 1933).

ومـــن الخصـــال الحمـــيدة العالية التي اشتهر بها الوزير علي بن عيسى صـــيانته لحسن الجوار، والمحافظة عليه، وعدم إلحاق الضرر بجيرأنه، حتى لو كـــان ذلـــك على حساب مصالحه الشخصية، فقد أقطع علي بن عيسى اقطاعات مختلفة لما تولى الوزاره، منها أربعة أحجار، أرحاء بالعباسية ثمنها عشرة آلاف ديـــنار، فـــتظلم مجاوروهـــا مـــن أخذهـــا الماء وقصورها عنهم، واضرار ذلك بـــزروعهم، ونقصـــه من ارتفاع ضياعهم، فلما سمع الوزير علي بن عيسى ذلك

أمر بهدمها ونقضها وعمل مسجد في موضعها، فتوفـر الماء على أهل الضيـاع (الصافي، 1958).

وعـرف عـن علي بن عيسى سرعته في انجاز الأعمال، وقضاء حوائج الـناس، وعـدم تأخيرها ما دام فيها منفعة للناس سواء كان على رأس عمله أو خارجـه، ومن ذلك أنه نزل يوما في طياره وهي سفينة صغيرة فاجتمع علية قوم يسألونه توقيعا، فقال:

" نعم وكرامة حتى ارجع وأوقع، ثم قال: ومن لي بأن أرجع، فوقع لهم قائما، ثم قال: اقتديت بهذا بعمر بن عبد العزيز، فأنه وقف على مـتظلم، وأطال الوقوف حتى قضى حاجته، وقال: إن الخير سريع الذهـاب، وخشـيت أن أفوتـه لنفسـي"(ياقوت الحموي، 1993، ص 1825).

وقد أكد هذه الصفات كل من الذهبي والصفدي، فقال الذهبي عنه:

"كـان علـى الحقـيقة غنياً شاكراً، ينطوي على دين متين وعلم وفضل، وكان صبورا على المحن، ولله به عناية، كثيرا الصدقات والصـلوات، مجلسـه موفـور بالعلماء،.. كان يجلس للمظالم، وينصـف الـناس، ولم يروا أعف بطناً ولساناً وفرجاً منه، وكان يصـوم نهـاره، ويقوم ليله، حافظاً للقرآن، عالماً بمعانيه"(الذهبي، 1982، ص299).

ويؤكـد الصـفدي ذلك بقوله:"كان على الحقيقة غنيا شاكرا صدوقا خيرا صالحا من خيار الوزراء، وهو كثير البر والمعروف والصلاة والصيام، ويجالس العلماء" (الصفدي،2000، ص248).

وفـي مجـال عملـه في سلك الإدارة العباسية، فقد كانت لنشأته في بيت اشـتهر أفـراده بحسن الإدارة والخدمة في الدولة العباسية، بالإضافة إلى تمتعه بـثقافة كتاب الدواوين، إن اكتسبت بذلك الخبرة الواسعة، مما كان له الأثر المهم فـي صقل شخصيته الإدارية، وأصبح بذلك من كبار الكتاب وأكفأهم، فقيل عنه:

"كان كاتباً كبيرا، كثيـــر البر والمعـــروف، قليل التبذج، والإســـراف على نفسه" (مجهول، 1972، ص451).

وبعـــد توليـــيه الوزارة للمرة الأولى، كانت سياسته للأمور أفضل سياسة، وتدبير أمور الوزارة والدواوين، ونشر العدل بين الناس، فقال عنه مسكويه:

"فســـاس أبـــو الحسن الدنيا بأحسن سياسة، ورسم للعمال الرسوم الجميلة، وانصف الرعيـــة، وأزال السنيـــن الجائرة ودبـــر أمر الوزارة والدواوين، وسائر أمور المملكة، بكفاية تامة". (مكسوية، (د.ت). ص28).

ويؤيـــد الثعالبـــي ذلـــك فوصفه: "بالفضل والعدل، وسداد الرأي والحزم، لـــتقدمه بالكفاية، واستقلاله بما يعجز عنه غيـــره من أعمـــال الوزارة (الثعالبـــي، 1907، ص54).

وكان علي بن عيسى شيخا من شيوخ الكتاب، فقال عنه أبن النديم:

"وكان بمنزلة من الرئاسة يجل وصفها، ومن الصناعة والفقه ما هو اشهر وأظهر(أبن النديم، 1988،ص161). بينما قال عنه أبن الجوزي: "أنه من وجوه الكتاب"(أبن الجوزي، 1992،ص57).

وأكـــد يـــاقوت الحمـــوي ذلك بقوله: "كانت منزلته من الرياسة، ومعرفته بـــالعدل والسياسة، تجل عن وصفها، ومن حسن الصناعة والكفاية ما هو مشهور مذكور"(ياقوت الحموي،1993،ص1823).

ولبراعـــته في عمله بالدواوين، وإظهاره الكفاءة العالية في الأمور الكتابية بالدواوين، وحسن الإدارة في وزارته، والقدرة على تصريف الأمور، إن قال عنه أبن الطقطقا:

"كان شيخا من شيوخ الكتاب، فاضلاً ديناً ورعاً متزهـــداً"(أبن الطقطقـــا، 1968، ص1267). أمـــا أبن كثير، فوصفه "بالعدل والإحســـان واتـــباع الحـــق حـــتى اصـــبـــح مـــن خـــيار الـــوزراء"(أبن كثير، 1993، ص120).

ولنبوغ علي بن عيسى في مجال الإدارة، وحسن تصريفه للأمور. والقدرة علـــى مواجهة المشاكل، وخصوصاً المالية، بالإضافة إلى ما اشتهر به من أمانة واخــــلاص وصدق وتقوى، إن لفتت إليه الأنظار من كبار رجالات الدولة وعلى رأســـهم الخلفاء، فقال الخليفة المكتفي له: "أنت يا علي في نفسي منذ كنت بالرقة، وأنـــا أعــرف أخـــبارك، وأشاهد أثارك فقد آل الأمر الآن إليك، ووقع اختياري عليك".

وفـــي ذلـــك إشارة إلى رغبة الخليفة المكتفي (289هـ-295هـ/ 901م 907م). بتوليه منصب الوزارة، لكن علي بن عيسى اعتذر عن ذلك(الصابي، 1958).

ومـــن الأدلـــة علـــى ما تمتع به علي بن عيسى من حسن الإدارة، وتدبير الأمور على أكمل وجه، اللجوء إليه في حال اضطراب أحوال الدولة، وعدم قدرة الـــوزراء على القيام بمهامهم، فبعد عجز الوزراء في عهد الخليفة المقتدر (295-320هـــ/ 980-7932م). عن النهوض بأعباء الدولة، وشؤون الوزارة، وحل الأزمة المالـــية المستعصـــية، خاطـــبه الخليفة المقتدر إعترافاً بقدرته على تدبير الأمور ومواجهة مشكلات الدولة فقال: "ولم يبق من يصلح لتدبير المملكة غيره -علي بن عيسى لأمانته ودينه"(أبن الأثير، 1979،ص53).

وخاطـــبه مرة أخرى الخليفة المقتـــــدر بالله (295-320هـ/907-932م). في بـــيان المكانة العالية التي حظي بها علي بن عيسى في الدولة العباسية، وبخاصة لـــدى الخلـــيفة نفسه، فقال مخاطباً علي بن عيسى: "أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله"(أبن الاثير، 1979،ص162). والد الخليفة.

وقد أشاد بعلي بن عيسى نظرائه من الوزراء الذين تولوا منصب الوزارة بالدولـــة العباســـية، والذين اشتهروا بالكفاءة والخبرة بالإدارة والعارفين لبواطن الأمـــور وظواهرها، ومن الذين كان لهم دور في إدارة الدولة العباسية، حيث لا يخـــرج مـــنهم رأيـــاً في شخص ما إلا وقد استحق هذا الرأي، ومن ذلك ما قاله الوزير القاسم بن عبيدالله بن وهب، وزير الخليفة المكتفـــي لله (289-295هـ/ 901-907م). فـــي علـــي بـــن عيســـى، بأنـــه: "أحد الكتاب المتقدمين، ..... وكان من

المرصـــنين، المحمودين في أمانته، ومناصحته وسداده وكفايته"(الصابي،1958،ص 388).

قـــام علي بن عيسى في حياته ببعض الأعمال الجليلة، والتي عادت على الـــناس بالـــنفع الكبير، لدرجة أن بعض الفقهاء والعلماء شبهوها ببعض الأعمال للخلفـــاء الراشـــدين كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، من ذلك ما قاله وكيع القاضي:

"لقد فعل الوزير –علي بن عيسى في هذه القصة بإلغاء مال التكملة، كفعل أبي بكر –رضي الله عنه، في مطالبة أهل الردة بالزكاة"(التنوخي، 1971، ص125)

وقال الزجاج النحوي: "لقد حكمت –علي بن عيسى بحكم لو كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه حاضراً ما تجاوزه"(التنوخي،1971، ص125).

ولكـــثرة ما اتصف به علي بن عيسى من صفات طيبة سواء على الصعيد الشخصـــي، أو علـــى الصـــعيد العملي، وعدم وجود ما يقدح في سيرته، أن دفع بعـــض المؤرخين إلى تشبيهه بالخليفة عمر بن عبد العزيز، فقيل فيه: "وكان في الوزراء كعمر بن عبدالعزيز في الخلفاء"(اليماني، 1958، ص294).

ولـــم تقتصـــر شهرة الوزير علي بن عيسى على بغداد فقط، بل انتشرت فـــي كافـــة أقالـــيم الدولـــة، لكثرة ما تناقله الناس فيما بينهم عن صفاته الطيبة، ســـواء على الصعيد الشخصي أو العملي، حتى أن البويهيين عند دخولهم بغداد، سنة (334هـ/945م). إذا اجتازوا على محلته، كانوا يتجنبوها ويقولون: "ها هنا دار الوزير الصالح"(ياقوت الحموي، 1993،ص1925).

ولمـــا دخـــل معز الدولة بغداد، وافاه الوزير علي بن عيسى، فأكرمه معز الدولة، وقال له معز الدولة: "كنا نسمع بك، فيعظم عندنا أمرك، ويكثر في نفوسنا ذكرك،..، ولما انقضى القول بينهم، قال معز الدولة:

"إذكـــر حوائجـــك لأتقـــدم فيها بما أقضي بها حقك، فقال علي بن عيســـى: حراسة منازلي فأنها تشمل على عدد كثير من بنين وبنات

وعجائـــز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب، فقال معز الدولة: هذا أقل ما أفعله"(الصابي، 1958، ص392).

وخير ما وصف به علي بن عيسى أنه: "جمال بغداد، ومن لا يرى الناس مـــثله"(الصولي، 1979، ص65). ووصف أيضاً بأنه "تاج الدولة وجماله وشيخ الإسلام"(الصولي،1979،ص187)

لقـــد حاز علي بن عيسى على احترام الخاصة والعامة، ابتداء من الخلفاء والـــوزراء والقـــادة وانتهاءً بالعلماء وعامة الشعب لما اتصف به من حسن خلق وتقوى وأمانة، وقدرات ومواهب متميزة في مجال الإدارة والاقتصاد.

أسرته:

ينتمي علي بن عيسى بن داوود الجّراح إلى أسرة عريقة في النسب، تعود في أصولها إلى بيت من بيوتات الفرس القديمة، حيث اشتهر بالحكم والرئاسة منذ فترة ما قبل الإسلام في فارس(أبن منظور، 1984). وعرف بنو الجّراح بهذا الاسم، نســـبة إلى جدهم الجّراح سابق الذكر، والذي لم تذكر عنه المصادر شيء يتعلق بحـــياته، لذلك يعتقد أن الجّراح هو أول من اختلط بالعرب المسلمين، وتعلم اللغة العربـــية، وأعتنق الإسلام، وهذا ما يبدو من تغيير سلسلة الأسماء من فارسية إلى عربية ابتداء بإسمه.

وبالإضـــافة إلى عراقة النسب، جمعت أسرته عراقة العلم والأدب والمعرفة، فقد كـــان للجّـــراح ثلاثـــة مـــن الأبناء عملوا بالأعمال الكتابية بالدولة، وهم داوود ومحمـــد ومخلـــد (الصـــفدي،2000). حيـــث عملوا كتبه لأبي إبراهيم بن العباس الصـــولي(أبن حمدون،1966). وبعد ذلك عمل جده داوود كتباً في الديوان في عهد الخليفة المتوكل على الله (232247هـــ/847 761م) (التنوخي، 1987).

وفـــي عهـــد الخلـــيفة المستعن بالله (248251هـــ/ 862865م). أصبح داود بن الجراح من وجوه الكتاب(التنوخي، 1987).

واشـــتغل بالعلم(أبن النديم، 1988). أما أبيه عيسى فقد سار على نهج والده بالعمل في الدواوين، وحتى أصبح من شيوخ الكتاب بالدولة(أبن عساكر، 1992).

ومـــن أســـرة آل الجراح محمد بن داوود بن الجراح عم الوزير علي بن عيسى، وصاحب أبن المعتز في حركتـــه الانقلابية ضد الخليفة المقتـــدر(295320 هـ/9070932م). قال عنه أبن النديم:

"لم يرى في زمأنه أفضل منه وكان عالماً قد لقي الناس، وأخذ عـــن العلمـــاء والفصـــحاء، وكتب بخطه ما لا يحصى كثرةً، وجمـــيع ما يقع بخطه قد قرأه وأصلحـــه"(أبن النديم، 1988، ص 161).

اشـــتغل محمد بن داوود بن الجراح بعلم الحديث، فقد حدث عن عمر بن شـــبه الـــنمري، وعبـــيد الله بـــن ســـعد الزهـــري، وأبي علي زكريا بن يحيى وغـــيرهما(الخطيـــب الـــبغدادي، 1997). تقلد محمد بن داوود بن الجراح عدداً من المناصب بالدولة العباسية، كان أولها رئاسة ديون المشرف في خلافة المعتضـــد (الطبري، 1967) بالله (279289هـ/ 893 901م). ثم تولى دواوين الخراج والضياع في خلاف المكتفي بالله(مسكوية، د.ت) (289295هـ/901907م). بالإضافة إلى توليه رئاسة ديـــوان الجـــيش(أبـــن العمرانـــي، 1973). ووزر لعـــبد الله بـــن المعـــتز يـــوم خلافته، وقد قتل محمد بن وداوود بن الجراح بعد فشل حركـــة أبن المعتز سنـــة (296هـ/ 908م) (الطبري، 1967؛ مسكوية، د.ت). ضد الخليفة المقتدر بالله (295920هـ/ 907932م).

أمـــا مخلد بن الجراح فقد ترك أبناً واحداً هو الحسن بن مخلد بن الجراح (الشابشـــتي، 1996). تولـــى ديـــوان الضياع للخليفة المتوكل على الله (232237هـ/ 846861) (أبن عساكر، 1987). والحسن بن مخلد هو أول من تولي منصب الوزارة فـــي أسرة آل الجراح للخليفة المعتمد على الله (256279هـــ/ 869 893م)(أبن عساكر، 1987). وقد وصف الذهبي الحسن بن مخلد بأنه:

"الوزيـــر الأكمل، أحد رجال العصر سؤدداً ورأياً وشهامةً وكتابةً وبلاغةً وفصاحةً ونبلاً، ووزر للمعتمد نوبتين، فصادره، ثم ووزر لـــه ثالثاً فسخط عليه، فتسلل إلى مصر، فأقبل عليه أبن طولون، وجعـــل إليه نظر الإقليم والتزم له بنحو ألف ألف دينار في السنة

مــع العــدل فخافه العمال، وتفرغوا له، وقالوا: هذا عين عليك – للموفــق ولي العهد فسجنه، فقالوا ما الرأي في حبسه في جوارك فــربما حدث به موت، فنسب إليك، فأرسل به إلى نائبه بأنطاكية، وأمره أن يعذبه، فتلف تحت العذاب، وكان مع ظلمه شاعراً جواداً ممدحــاً، امــتدحه البحــتري وغــيره، وكــان أيــة في حساب الديوان"(الذهبي، 1982، ص87).

وقد امتدح بعض الشعراء الحسن بن مخلد عند توليه الوزارة بقولهم:

أبــا محمــد المســعود طالعـــه | فُــت الــبرية طــرأ أيمــا فــوت
زهــت بك الخلعة الميمون طائرها | كــزهو خلعــة بيــت الله بالبيــت

اعقــب الحســن بن مخلد بن الجراح أبناً واحداً هو سليمان، تولى منصب الــوزارة للخلــيفة المقتدر بالله سنة (318هـ/930م)(المسعودي، د.ت؛ مسكوية تجارب الأمم، (د.ت)). ثم عاد لتوليه مرة أخرى في عهــد الخليفة الراضـــــــي بالله سنة (324هـ/935م) (الصولي، 1979). ولما تولى المتقى لله الخلافة ولاه منصب الوزارة للمرة الثالثة سنة (329هـ/940م) (الصولي، 1979؛ المسعودي (د.ت).

كـــان لعلي أبن عيسى عدد من الأخوة والأخوات، أشهرهم عبدالرحمن بن عيســى الــذي وصــف بأنه كاتباً سديداً (أبن النديم، 1988). تولى الوزارة للخليفة الراضي بالله سنة (324هـ/935م)(الصولي، 1979). لكنه عجز عن تدبير أمور الدولة الإدارية وخصوصاً المالية، فقبض عليه وعزل عن الوزارة(مسكوية،د.ت). وله من الأخــوة إبراهيم ومحمد وقد شارك محمد في إدارة الدولة بأن خلافة المقتدر، فقد تولى رئاسة ديوان الحرم(الصابي، 1958). وله من الأخوات واحدة هي اسماء بنت عيســى، والتي كانت تحصل على خمسمائة درهم لمعيشتها من بيت المال، ولما تولى علي عيسى منصب الوزارة قام بقطعها(الصابي، 1958).

أعقــب علي بن عيسى أربعة من الأبناء، برز منهم إثنان إبراهيم بن علي بــن علــي عيسى بن داود بن الجراح، والذي سار على خطة والده علماً وإدارة

حتى وصل إلى منصب الوزارة في خلافة المطيع لله (334هـ-945973/363م) (الصابي، 1958).

أما الأبن الأخر لعلي بن عيسى، فهو عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح: "أوحد زمأنه بعلوم المنطق، والعلوم القديمة"، وله من الكتب: كتاب في اللغة الفارسية(أبن النديم، 1988، ص161).

وتولى الكتابة للخليفة الطائع (363381هـ/973991م)(الصابي، 1958).

اشتغل عيسى بن علي بعلم الحديث، فسمع عن أبي القاسم البغدادي، وأبي بكر بن دريد، محمد بن نوح وأبي جعفر بن بهلول(أبن الجوزي، 1992؛ أبن حجر العسقلاني، 1996). وقال عنه التوحيدي في كتابه (الأمتاع والمؤانسة) أنه

"كان عالماً فاضلاً، اقرأ المنطق على يحيى بن عدي، كما درس الفقه والأدب على علماء عصره، وعمل في ديوان الرسائل وله الذراع الواسع، والصدر الرحب في العبادة، وحجة في النقل والترجمة والتصرف في قانون اللغات وضروب المعاني والعبادات، وقد تصفح ما لم يتصفح كثير من هذه الجماعة، وقلب بخزائن الكبراء والسادات(التوحيدي، 1958، ص32)".

ومن أسرة آل الجراح أبو القاسم عبدالله بن عيسى بن محمد بن داود بن الجراح، وكان كاتباً فاضلاً، وله من الكتب: كتاب الاستفادة في التاريخ، كتاب البيان وتقويم اللسان(أبن النديم، 1988).

لقد كان لنشأة أبناء آل الجراح في بيت علم وأدب ومعرفة، والإكثار من مجالسة العلماء، أن سمحت لهم الفرصة لتلقي حظ وأفر من العلم، أثروا به الخزائن العلمية في العالم الإسلامي من خلال ما ألفه بعضهم من كتب في العلوم الدينية والتاريخ والأدب والشعر، فقدموا فكرهم وجهودهم وعطائهم في للدولة العباسية.

وفاته:

اخـــتلف المؤرخـــون في تاريخ وفاته، فبعضهم ذكر أن وفاته يوم الجمعة للـــيلة بقيت من ذي الحجة سنة (335هـ/946م)(أبن الجوزي، 1992؛ الذهبي، 1985). إلا أن المـــرجح عـــند أكثر المؤرخين هو أن وفاته كانت سنة (334هـــ/945م)(أبن الـــنديم، 1988؛الصـــابي، 1958، الخطيـــب البغدادي، 1997، أبن عساكر، 1992؛ياقوت الحموي، 1993).

الفصل الثالث

الوظائف التي تقلدها علي بن عيسى

الوظائف الديوانية

خـــدم الوزير علي بن عيسى قرابة سبعين عاماً بالدولة، تقلّد خلالها العديد من المناصب الإدارية، كان من أهمها منصب الوزارة إضافة إلى تقلده عدداً من الوظـــائف الديوانـــية، وقد وصفه أبن العمراني بقوله :"كان شيخ الكتاب، وزمام الدواويـــن في أيام المقتدر، وفي أيام المكتفـــي،وفي أيام المعتضد"(أبن العمران، 1973). فقـــد كان من وجوه الكتاب في عهد الخليفة المعتضـــد بالله (279289هـــ / 892907م). حيث تولى ديوان المغـــرب وما يسمّـــــى (ديوان مجلس ما فتح من المجـــال المغـــرب). (الطـــبري، 1967) وكـــان علي بن عيسى يقول في الخليفة المعتضـــد بـــالله :" نحن جميعاً صنائع المعتضد بالله –رحمة الله عليه" (الصابي، 1958، ص123) ولمّـــا تولـــى الخلـــيفة المكتفـــي بـــالله الخلافـــة (289295هـــ، 901907م). أراد تولـــية علي بن عيسى الوزارة، لما عرف عنه من حســـن الادارة والتدبير، وترشيح وزير الخليفة المكتفي بالله نفسه لعلي بن عيسى بعـــد معرفـــته بدنوا أجله، ولمعرفته بكفاية علي بن عيسى وسداد رأيه، إذ كتب للخلـــيفة المكتفي يوصية بتولية علي بن عيسى الوزارة، وفي ذلك دلالة واضحة علـــى رغبة الوزير في توليته علي بن عيسى منصب الوزارة من بعده، ولقناعته الأكيدة بقدرة علي بن عيسى على القيام بأعباء الوزارة، وتسير الأمور على أكمل وجـــــه، (الصـــابي،1958) فاســـتدعى الخليفة المكتفي بالله علي بن عيسى ليوليه أعمال الوزارة في سنة 290هـــ/902م، وخاطبه الخليفة بقوله:

> " انـــت يا علي في نفسي منذ كنت بالرّقـــة (الصابي، 1958، ص 388) وانا أعرف أخبارك، وأشاهد اثارك وقد آل الأمر إليك الآن، ووقـــع اختـــياري عليك فتجرد للقيام به وإزالة الخلل عنه(الصابي، 1958، ص389).

لكن علي بن عيسى امتنع عن قبول منصب الوزارة للخليفة المكتفي بالله، مــتعذراً بأنه: " رجل ضيق العطن، وفي استقصاء وشدة لا يصلحان لمتولي هذه الأمــر، وشغلي بما أخدم فيه طويل عريض، وإن نقلت إلى ما هو أكبر منه بعلت – تحيرت – ووقفت"(الصابي، 1958)

فلــم يقــبل الخليفة المكتفي بالله عذر علي بن عيسى وكرر طلبه له بتوليه الــوزارة، لكــن علــي أصر على موقفه وظل يراجع الخليفة أكثر من مرة حتى اســتجاب لطلبه في الاستعفاء(الصابي، 1958). ويتضح من رغبة الخليفة المكتفي باستيزار علي بن عيسى على كفاءته وقدرته على إدارة شؤون الدولة.

اســتوزر الخليفة المكتفي بالله الوزير العباس بن حسن، بعد مشاورة علي بــن عيســى بذلــك شريطة موافقة علي بن عيسى على العمل بالدواوين المالية، والوعد بمساعدة الوزير العباس بن حسن في شؤون الوزارة (الصابي، 1958). ثم ولاه الخلــيفة الإشراف على جميع دواوين بالدولة(مجهول، 1972). بالإضافة إلى زمام ديوان الجيش(الصابي، 1958).

شــارك علي بن عيسى في اختيار الخليفة بعد موت المكتفي بالله (289295 هــ/901907م). إذ كــان أحد المستشارين الأربعة، رؤساء الدواوين – فقام الوزير العباس بن الحسن باستشارتهم فيمن يصلح للخلافة، فانقسموا إلى كتلتين، فرشحت كــل كتلة شخصية تستطيع عن طريقه تحقيق مصالحها، أما علي بن عيسى فأنه امتــنع عن ترشيح أحد، وأكد على أنه ينبغي أن يتقى الله وينظر لمن يصلح للدين والدنيا.(الطبري، 1967؛ أبن الجوزي،1992). إذ كان علي يرغب في ترشيح عبدالله بــن المعتز للخلافة وذلك لما اتصف به من علم وأدب وحنكة سياسية ومعارضته ترشيح المقتدر لصغر سنه(مسكويه، (د.ت). القضاعي،1997)

ولمّا تولى الخليفة المقتدر بالله الخلافة (295320هــ /907932م). كلف علي بن عيســى رئاســة ديوان الخاصة(التنويخي، 1971). حيث كان يشرف على الضياع الــتابعة لهــذا الديوان، وفي سنة (296هــ/908م). قامت حركة انقلابية ضد الخليفة المقــتدر بــالله تزعمها القضاة والقادة العسكريين وكتاب الدواوين، وعلى رأسهم محمد بن داوود بن الجراح، بسبب صغر سن الخليفة، إذ بويع بالخلافة في الثالثة

عشرة من عمره وتدخل الحريم في شؤون الدولة، وسيطرة والدته عليه.(الطـبري، 1997؛ أبن تغري بردي، 1963)

وبعـد نجاح المتأمرون في عزل الخليفة المقتدر بالله عن الخلافة وتنصيب عـبدالله بـن المعتز، الذي لم يستمر بالخلافة إلا يوماً واحداً، فاستوزر محمد بن داوود بن الجراح زعيم الحركة الانقلابية – وقلد علي بن عيسى رئاسة الدواوين جميعاً في الدولة(Bowen,EI^2 , 1966) .

وفـي سـنة (306هـ 918م).عـرض الخليفة المقتدر بالله الوزارة على بن عيسى، لكنه امتنع عن قبولها، وذلك بعد عزله عن الوزارة للمرة الأولى (301304 هـ/913916م). فشاوره فيمن يصلح لها، وقال له مخاطباً :

" لـولا علمنا بزهدك في الوزارة لما عدلنا بها عنك ولكننا نشاورك فيمـن نقلده، فقال علي الوزارة محتاجة إلى رجل كاتبٍ كافٍ ممشٍ للأمور عـارف بسياسـة الجند، وقد قل الناس الذين هذا حالهم، أعرف من اذكره اقتضـاياً مـن غـير رواية، ولكن انظروني حتى ارجع فكري، وأقول ما عندي(الصابي،1958،ص375)

وقـد أرسل الخليفة المقتدر إلى علي بن عيسى قائمة بأسماء المرشحين للوزارة، ليشير بمن يوليه الوزارة، " وكان من ضمن القائمة إبراهيم بن عيسى _ أخو علي بـن عيسـى – فوقـع عنده شره لا يصلح، ووقع تحت أبن بسطام. كاتب سفاك للدمـاء، ووقع تحت اسم أبن ابي البغل ظالم لا دين له، وتحت اسم الحسين بن أحمـد الماذرائي، لا علم لي به، وقد كفي ما في ناحيته، ووقع تحت اسم أحمد بن خاقـان، أحمق متهور، وتحت اسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح كانت حدث، وتحت اسم أبن ابي الحواري : لا إله إلا الله(عريـب، 1964،ص73) ، لكنه بعد مشاورات مطولة بين الخليفة المقتدر وحاشيته، تم الاتفاق على تقليد حامد بن العبـاسـي الـوزارة، والذي كان ضامناً لواسط، وكان يعمل قبل ذلك سقاءاً وبائع تمـر، ولـم يكن يعرف أعمال الوزارة، وإنما وصل إليها لأن الخليفة اعتقد أنه يستطيع أن يضمن له الأموال التي تحتاج إليها الخزينة.(التنوخي، 1971)

لـم يكن لحامد من الخصال ما يؤهله للوزارة، فظهر جهله بأمور الوزارة

للخليفة المقتدر، هنا أدرك الخليفة أنه لابد الاعتماد على شخصية دارية ذات كفاءة عالية، لذلك عين علي بن عيسى للأشراف على الدواوين كافة في وزارة حامد بن العباس، فوافقه الوزير حامد بن العباس على ذلك لمعرفته المسبقة بقدرات أن علي بن عيسى الادارية إذ عمل قبل ذلك ولمدة سبعة أشهر كاتباً له (Bowen.1966).

وقد ظهر جهل حامد بن العباس بأمور الوزارة، عندما شكك الخليفة المقتدر بامكانية قبول علي بن عيسى مهمة الإشراف على الدواوين بعد أن كان وزيراً فقال المقتدر:

"ما أحسب علياً يجيب إلى ذلك، ولا يرضى أن يكون تابعاً بعد أن كان متبوعاً رئيساً"، فأجاب حامد بن العباس بقوله:" إنما مثل الكاتب كمثل الخياط " يخيط ثوباً بعشر دراهم، ويخيط ثوباً قيمة ألف دينار، فضحك الناس منه واستنقصوه".(مجهول،1972،ص196)

باشر علي بن عيسى عمله بالاشراف على الدواوين، وكان يحضر إلى دار الوزير مرتين ويتابع سير الأمور بنفسه، ثم حصل خلاف بينهما، أدى إلى تقلص حضوره إلى الوزير، فكان لا يحضر إلا مرة واحدة في الأسبوع.(الثعالبي، 1994؛ أبن العمراني، 1966)

أحس الوزير حامد بن العباس بعدم جدوى بقائه في بغداد، بعدما رأى تفرد علي بن عيسى بالأمور ومخاطبة الخليفة لعلي بن عيسى بكل الأمور، وكأنه غير موجود، فشرع في ضمان أعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاهواز من الخليفة المقتدر(مسكويه، (د.ت).؛ أبن الطقطقا،1966) لكن علي بن عيسى عارض هذه الضمانات، لما سيلحقه من اضرار بالأوضاع الاقتصادية العامة، بالإضافة إلى ما عُرف عن حامد بن العباس من سوء خلق وظلم واستغلال للفلاحين(مسكويه، (د.ت)؛ أبن الاثير، 1979).غير أن رغبة وحب الخليفة للأموال كانت أقوى من نصيحة علي بن عيسى.

واقتصر عمل الوزير حامد بن العباس على حضور مجلس الخليفة وهو

يــرتدي السواد، أما نائبه علي بن عيسى فقد استبد بالأمور دون حامد ولم يبقِ له إلا الاسم فقط (التنوخي، 1971؛ الذهبي، 1985). وفي ذلك قال أحد الشعراء.

أعجــب من كل ما رأيــنا … أن وزيــرين في بـــلاد
هذا ســواد بــلا وزيـــر … وذا وزيــر بلا ســـواد

" وإذا كانــت الوزارة تالية للملك، فكما لا يصلح ملكان في مملكة، لا يصلح وزيران في دولة".(الثعالبي، 1990، ص 132)

وثـــارت العامة في بغداد سنة (308هـ/920م). بسبب ارتفاع الأسعار، نتيجة ضــمان حـــامد بــن العباس لأعمال الخراج، واحتكار المواد التموينية، فكسروا المـــنابر، وأحرقوا الجسور، فأرسل المقتدر جيشاً لقتال العامة فسكنت الفتنة وأمر المقــتدر بفتح مخازن الغلة التي لحامد وللمقتدر وغيرها، خصت الأسعار وسكن الناس، ثم أمر الخليفة المقتدر بفسح ضمان حامد بن العباس، لأنه منع بيع الغلال وخزنها، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار(أبن الجوزي، 1992).

وعزل الخليفة المقــتدر الوزير حامد بن العباس عن الوزارة سنة (311هـــ/ 923م). بسبب عجزه عن تسير الأمور، ثم صادره، كذلك عزل علي بن عيسى عن الإشراف على الدواوين وصادره، وذلك عائداً إلى ضجيج الحرم والخدم والحشم. إلـــى المقتدر مستغيثين من تأخير أرزاقهم، فقد كان علي بن عيسى يؤخرها فإذا اجتمع عدة شهور اعطاهم اياها وحط من ارزاق العمال في سنة شهرين، فزادت عـــداوة الـــناس له وضـــجر المقتدر من الاستغاثات، فعزل علي بن عيسى عن الدواوين(مســكويه، (د.ت). أبن الجوزي، 1992؛ اليوزبكي، 1970) وفي ذلك قال أحد الشعراء شامتاً بعزله ونفيه إلى اليمن.

سيرت الشمـــس بالنحـــس … فاطلعت سعداً علـــــى الأنس
فأسعــد الله الذي سيــــرت … في الأرض أقصى مطلع الشمس
مضى ذميماً خاسئاً خـــاسراً … مصاحباً بالتعس والنكـــــس

وقال شامتاً أيضاً:

أيامكم يا بني الجـــراح قد جرحت كل القلوب ففيها مـــنكم نار

لا متع الله بالإقبـــال دولتكـــــم فإن إقبالكم للناس أدبـــار

لـــم يكـــن بالإمكان الاستغناء عن خبرات علي بن عيسى طويلاً، في وقت كانت الدولة تعاني فيه من التخبط الإداري، إذ أمر الخليفة المقتدر وزيره عبيد الله بن محمد الخاقاني (312313هـــ/924925م). باستدعاء علي بن عيسى من اليمن، بعد أقـــل مـــن سنة على نفيه(مسكويه، (د.ت))، "وحمل إليه طيباً وكسوة ونحو خمسين ألف ديناراً"(الصابي، 1958، ص 335)

ولمـــا وصـــل إلى مكة، كلفه الخليفة المقتدر بالإشراف على أعمال الشام ومصر.(أبن الاثير، 1979)بدء علي بن عيسى عمله تفقد الأحوال الزراعية في كل من مصر والشام حيث وقف على خراب جسر قارون فأمر باصلاحة، لكنه وجد العمـــال يحتسبون عنة ستين الف دينار في كل سنة، فأغضبه هذا الغش وقال : " لعن الله أمر السلطان إذا انتهى إلى هذا الحد".(الصابي، 1958، ص346)

ولمـــا تولـــى أحمـــد بن عبيداللة الخصيبي (313314هــ/325326م). منصب الـــوزارة، أقر علي بن عيسى على وظيفته بالإشراف على أعمال مصر والشام، وأضاف إليه منطقة المغرب كلها(أبن تغري بردي، 1963). واتخذ من مكة المكرمة مقراً لإقامته يشرف من خلالها على أعمال مصر والشام.(أبن خلدون ، 1992)

وفي سنة (316هـــ/ 928م). قلد الخليفة المقتدر محمد بن علي بن الحسين بن مقلـــة الوزارة، وكلف علي بن عيسى الأشراف على الدواوين في وزارته، وأمر أبن مقلة باستشارة علي بن عيسى في كل صغيرة وكبيرة، وأن يأخذ برأيه في كل القضايا، ولا ينفرد بالرأي دونة.(التنوخي، 1987)

وخلال الأزمة التي حصلت بين الخليفة المقتدر وقائدة مؤنس المظفر سنة 318 هــ/930 م حول عزل أبن مقلة عن الوزارة، لكونه تقلدها بتأييد من مؤنس ضـــد رغـــبة الخليفة، فاغتنم الخليفة فرصة غياب مؤنس عن بغداد وخروجه إلى الـــرقة، وقام بالقبض على أبن مقلة تمهيداً لعزله عن الوزارة، ولكن عودة مؤنس إلـــى بغداد أفشلت مخطط المقتدر، وازداد الوضع تأزماً بين الطرفين، وكان علي

بـــن عيسى يقوم بدور الوسيط بين الطرفين لحل الأزمة، لمنع وقوع صدام مسلح يـــزيد الأوضاع سوءاً أكثر مما هي عليه.(مجهول، 1972؛ مسكويه،(د.ت). اليوزبكي، 1970)

ولحل الأزمة بين الخليفة المقتدر وفائدة مؤنس، طلب الخليفة من علي بن عيسى أن يشير بوزير بديل لأبن مقلة يرضي الطرفين، فأشار بسليمان بن الحسن بـــن مخلـــد بن الجراح (318319هـــ/930931م). فكلف الخليفة سليمان بن الحسن بن الجـــراح بتولي منصب الوزارة، وأمر علي بن عيسى بن الجراح بالإشراف على الدواويـــن فـــي وزارته وأمر الوزير سليمان أن لا يقلد أحدا إلا بموافقة علي بن عيسى بن الجراح(مسكويه، د.ت) ؛ أبن الاثير، 1979). وذلك لمعرفة الخليفة الأكيد لقدرات وخبرات علي بن عيسى الطويلة في مجال الإدارة. وبعد عزل سليمان بن الحســـن بـــن مخلـــد بـــن الجراح عن منصب الوزارة، تقلدها عبيداللة بن محمد الكنوذاني سنة (319هـــ/931م). فكلف الخليفة المقتدر علي بن عيسى بالإشراف على الدواويـــن فـــي وزارتـــه، وأمـــره بحضور مجلس الخليفة مع الوزير.(مسكويه، (د.ت).اليوزبكي، الوزارة، 1970)

وفـــي خلافـــة القاهـــر بـــالله (320322هــــ/932933م). كلف علي بن عيسى بالإشـــراف على أمور الدواوين في الدولة، فمكث في إشرافه ثلاثة أشهر(مسكويه، (د.ت)). ثـــم طلـــب الوزيـــر بـــن مقلة من الخليفة القاهر إرسال علي بن عيسى للأشراف على أعمال ومصر والشام، وذلك لخبرته في أدارتها من قبل، لكن علياً اعـــتذر عـــن قبولها متذرعاً لكبر سنه بضعف حركته(مسكويه، (د.ت)). فعهد إليه القاهر بالله بالنظر في أعمال واسط وسقي الفرات.(مسكويه،(د.ت)؛ Bwen,1966)

ولمـــا بويع الخليفة الراضي بالله بالخلافة (322هـــ329هـــ/933940م). استدعى علـــي بن عيسى بن الجراح وأخذ يستشيرة في بعض قضايا الخلافة، فأشار عليه علي بن عيسى بأن يعقد اللواء لنفسه، جرياً على عادة الخلفاء، فاستحضر الخليفة اللـــواء وعقـــده لنفســـه، وأن يتسلم خاتم الخلافة من سلفه القاهر بالله، وأن يدعو القضـــاة والقـــواد، وكتاب الدواوين والعلماء لأخذ البيعة، فقام علي بن عبسى من مجلس الخليفة وأخذ البيعة عليهم.(الصولي، 1979؛ مسكويه، (د.ت))

عـــرض الخلـــيفة الراضي بالله الوزارة على علي بن عيسى، فاعتذر عن قبولها لكبر سنه وضعفه(أبن العمراني، 1973؛ أبن الاثير، 1979؛ تسترشتين، (د.ت)). وأشـــار باستيزار أبن مقلة، فاستوزره الراضي وأمر علي بن عيسى بمعاونتة في أمـــور الـــوزارة(أبـــن الجوزي، 1992). لقناعته بقدرات وكفاءات علي بن عيسى الإدارية.

وفي سنة (324هـ/935م). ثار الجند ضد الوزير أبن مقلة وألقى القبض عليه لعجـــزه عن القيام بأعباء الوزارة، وطلبوا من الراضي استيزار علي بن عيسى، لكـــنه أعـــتذر بكـــبر ســـنه وقلة حركتة، فاستشاره الخليفة الراضي فيمن يصلح للـــوزارة، فأشـــار بأخيه عبدالرحمن، فستدعى الخليفة الراضي عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح وقلده الوزارة، وعهد إلى علي بن عيسى بن الجراح بالإشراف علـــى الدواويـــن(الصـــولي، 1979؛ المسعودي، (د.ت)). و كان علي بن عيسى هو الوزير الفعلي، والمسيطر على الأمور والمتفرد بالتدبير، وأن عبدالرحمن لم يكن لـــه من الوزارة إلا اسمها(مسكويه، (د.ت)). إلا أن عبدالرحمن عجز عن النهوض بمهـــام الـــوزارة وضـــبط الأمور، بسبب تفاقم الأزمة المالية، فطلب من الخليفة الراضـــي قرضا في محاولة يائسة لإصلاح الوضع، فأغضب ذلك الخليفة وأمر بسجنه مع أخيه علي بن عيسى ومصادرتهما(الصولي، 1979). ولما سئل الراضي بالله عن سبب قبضه على علي بن عيسى ومصادرته، وهو ليس الوزير، فأجاب:

"وهـــل دبـــر عبدالرحمـــن إلا بـــرأيه، وأنهـــى شـــيئا أو أوقفه إلا عن أمـــره"(الصـــولي، 1979، ص 84)، وفـــي ذلك دلالة واضحة على أن المتصرف بالأمور وصاحب الحل والعقد هو علي بن عيس دون أخيه عبد الرحمن.

ولما توفي الخليفة الراضي بالله سنة (329هـــ/940م). لم يعهد لأحد من بعده بولاية العهد، وكان أمير الأمراء بجكم بواسط، فأرسل كاتبه أبو عبداللة الكوفي، يأمـــره بالاجتماع مع وزير الراضي، وكل من تقلد الوزارة، وأصحاب الدواوين، الفقهـــاء، والعلوييـــن والعباســـيين ووجـــوه الـــبلد، ويشـــاورهم فيمـــن ينصب للخلافة(مجهـــول، 1972) وبعد المشاورات، اتفقوا على المستكفي للة، فطلب بجكم من كاتبه ابي عبد اللة الكوفي استشارة علي بن عيسى في الخليفة الجديد، فأحضر

علـــي بـــن عيسى وخاطبه كاتب بجكم: "أن الأمير أعزه اللة أمر أن يسمع منك، وأن يقـــبل رأيـــك، ونحـــن نعمل على هذا"(أبن العمراني، 1973)، فأثنى علي بن عيســـى على الخليفة المتقي لله، وبعد ذلك عقد له الأمر، وحمل إلى دار الخلافة، وذلـــك لمـــا عرف عن علي بن عيسى من تقوى وأمانة وحرص على المصلحة العامـــة، وعـــدم خشيته أحد في قول الحق حتى ولو كان ذلك في شخص الخليفة نفسه.

أمـــا آخـــر عمـــل قام به علي بن عيسى، فهو تقديم المشورة لمعز الدولة البويهـــي بعـــد دخولـــه بغداد سنة (334هـ/945م). ذلك عندما جاء علي بن عيسى لمقابلة معز الدولة، فستقبله بكل إجلال وإحترام، فقال له معز الدولة:

"كـــنا نسمع بك فيعظم عندنا أمرك، ويكبر في نفوسنا ذكرك، وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا وإليه متطلعا، والدنيا خراب والأمر علـــى مـــا تراه من الانتشار، فأشر عليّ بما عندك من اصلاح ذلك، فقـــال أبـــو الحســـن: "هـــذه النية منك أيها الأمير داعية إلى الخير، ومســـهلة إلى النجح، وطريق العمارة، ودرور المادة، واستقامة أمر الجـــند والرعـــية والعدل والذي أهلك الدنيا، وأذهب الأموال وأخرج الممـــالك عـــن يـــد الســـلطان خلافه، وإنما يتأتى الصلاح، ويطرد الأغـــراض بالولاة الموفقين والأعوان المناصحين، وحدثنا عمر بن شبه قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إذا أراد الله بوالٍ خيراً قـــبض له وزير صدق، إن غفل ذكره، وإن رفل – خرق – أيقضه "...وقـــال أبـــو الحسن ومن أولى ما نظر فيه الأمير وقدمه سد هذه البـــثوق هـــي أصل الفساد وخراب السواد، فقال معز الدولة – فقد نـــذرت لله فـــي هذه الحضرة، إلا أقدم شيئاً على ذلك ولو أنفقت فيه جميع ما املك"(الصابي، 1958، صص 394395).

فكانت استشارته تشخيصاً دقيقاً للوضع، ذكر فيه أهم الأسباب وراء تدهور الحـــياة الاقتصـــادية، وبين كيفية طرق معالجتها، فهو الخبير المجرب والعارف بدقائق الأمور.

ولما انقضى القول بينهما قال معز الدولة:

" أذكر حوائجك لا تقدم فيها بما أقضي به حقك، قال علي بن عيسى – حراسة منازلي فأنها تشتمل على عدد كبير من بنين وبنات وعجائز وأهل وأقارب واتباع وأصحاب، قال – معز الدولة – هذا أقل ما أفعله".(الصابي، 1958، ص395)

الوزارة الأولى 301304هـ/913916م :

بويع الخليفة المقتدر بالله (295320هـ /907932م) بعد وفاة أخيه المكتفي بالله (289297هـ/907907م). وهو أبن ثلاثة عشرة سنة وما ولي أحد قبله أصغر منه(الطبري،1967؛ أبن العمراني،1973). وفي عهد تدهورت أحول الخلافة سياسياً واقتصادياً، بسبب صغر سنة، وعدم قدرته على إدارة الدولة، وغلب على أمره النساء والخدم، وتدخل المؤسسة العسكرية في شؤون لحكم، وتبذير أموال الدولة على ملذاته وجواريه(المسعودي، 1938؛ القضاعي، 1973؛ النويري،1985؛ كرد علي، 1934؛ ضيف، 1973). وفي ذلك قال أبن الأثير :

" ان المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكم فيها النساء والخدم، وفرط في الأموال، وعزل الوزراء وولى، ما أوجب طمع أصحاب الأطراف والنواب وخروجهم على الطاعة، وكان جملة ما أخرجه من الأموال تبذيراً ومن غير وجه نيفاً وسبعين ألف ألف دينار سوى ما أنفقه في الوجوه الواجبة، إذا اعتبرت أحوال الخلافة وأيام المكتفي ووالدة المعتضد رأيت بينهم تفاوتاً عجيباً".(أبن الاثير، 1979،ص176)

اتصف عهد الخليفة المقتدر بكثرة تعين الوزراء وعزلهم، فاستوزر اثنى عشر وزيراً، وذلك بسبب ضعف الخليفة، وعدم قدرته على السيطرة على أمور الدولة لانصرافه إلى اللهو، وانشغاله بملذاته، وكثرة المؤثرات والدسائس بين الطامعين في منصب الوزارة، وتقليد منصب الوزارة شخصيات غير إدارية عن طريق الرشوة، أو الضمان أو الالتزام، بالإضافة إلى تدخل الحرم والحاشية في شؤون الحكم وخاصة أم الخليفة(مسكويه،(د.ت)؛ القضاعي، 1997؛ الازدي،1999).

وفي ذلك يقول صاحب الفخري :

" وأعلم ان دولة المقتدر كانت ذات تخليط كثير لصغر سنة ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه، فكانت دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم، وهو مشغول بملذاته، فخربت الدنيا في أيامه، وخلت بيوت الأموال، واختلفت الكلمة فخلع، ثم أعيد ثم قتل.(أبن الطقطقا، 1966، ص262)

وأول من تولى منصب الوزارة للخليفة المقتدر هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات سنة (296299هـ/908911م). بتأثير من الحرم، فقئد كانت أم الخليفة تؤكد لأبنها فضل بن الفرات عليه في تولي منصب الخلافة(مسكويه، (د.ت) ، ص8). وكان أبن الفرات من وجوه الكتاب،"خبيراً بالحساب والأعمال متقدماً على أهل زمأنه في هذه الأحوال"(الصابي، 1958). ثم اتهم باختلاس الأموال وتعين أقاربه وأصحابه بأفضل الوظائف بالدواوين في العاصمة والأطراف، فعُزل وصودرت أمواله، ونهب الجند والعوام دور أبنائه.(المسعودي، (د.ت))

تقلد محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني (299301هـ/911913م). منصب الوزارة بعد عزل أبن الفرات، ولكنه عجز عن النهوض بأعباء الوزارة، فقد جاء تقلده للوزارة نتيجة تأثير الحرم على الخلفية المقتدر، فقد ضمن لوالده المقتدر مائة ألف دينار إذا سعت له بالوزارة(أبن الاثير، 1979). لم يستطع الخاقاني إدارة أمور الدولة، بل ترك أمرها لأبنه الذي كان مغرماً بالشرب، ولم يكن يطلع على الكتب الواردة والصادرة(مسكويه، (د.ت)). وفي وزارته تدهورت الأموال الاقتصادية، فافرغت الخزينة من الأموال وازدادت الحالة الزراعية سوء(الصابي، 1958). وكان الخاقاني سئ السيرة والتدبير، كثير العزل والتولية، فقد ولي على الكوفة في يوم واحدتسعة عشر ناظراً، أخذاً من كل واحد رشوة، فانحدر واحد واحد حتى اجتمعوا في منتصف الطريق، وتشاوروا بالأمر، فقال أحدهم:

"إن أردتم النصفة فينبغي ان ينحدر إلى الكوفة آخرنا عهداً بالوزير فهو الذي ولايته صحيحة لأنه لم يأت بعده واحد، واتفقوا على ذلك، فتوجه آخر رجل نحو الكوفة، أما الباقون فعادوا إلى الوزير، فغرقهم في عدة أعمال"

وســـار إلى دار الخلافة، حيث قلده الخليفة الوزارة، وخلع عليه الخلع السلطانية، وسلم إليه الوزير المعزول الخاقاني، فعامله برفق، ثم صادرة(الطبري، 1967). إذا كانت مصادره أموال الوزير المعزول، منهجاً عاماً في سياسة الدولة.

وجــد الوزيــر علـــي بن عيسى الخزينة خاوية، فحاول إصلاح الإدارة، وإعـــادة تنظيم الوزارة، وأخذ يعمل من الفجر حتى صلاة العشاء يومياً(المسعودي، (د.ت)). فعين الموظفين القديرين وأصحاب الكفاءات بالوظائف، وأصدر تعليماته إلى الولاة بالرفق بالرعية والتخفيف عن الناس.(الصابي، 1958)

اســـتطاع علـــي بن عيسى من تسير دفة الحكم، وإصلاح الوضع المالي، بالاقتصاد في النفقات:

" فســـاس أبـــو الحســـن علي بن عيسى الدنيا أحسن سياسة ، ورسم للعمـــال الرســـوم الجميلة، وانصف الرعية، وأزال السنين الجائرة، ودبر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامة وعفاف وتصون وديانة".(مسكويه، (د.ت). ص28)

لكن علي بن عيسى اصطدم بالحاشية والحرم، بسبب اصلاحاته الاقتصادية القائمـــة على أساس التوفير في النفقات العامة، والقضاء على الإسراف والتبذير بالدولـــة، بالإضافة إلى بعض الفئات المتنفذة والتي أحست بخطر اصلاحات علي بـــن عيســـى علـــى مصـــالحها، وأن لا بـــد من عزلة عن الوزارة حفاظاً على مكتســـباتها(أبن الاثير، 1979). لذلك قاموا بحملة دعائية ضده بقصد التشنيع عليه، حتى ضج من سوء وقلة أدب الحاشية(الصابي، الوزارة، ص31).

كذلـــك تعـــرض الخليفة المقتدر بالله لضغط شديد من قبل الحرم والحاشية والقـــواد لإقالة علي بن عيسى عن الوزارة، لكنه عارض ذلك، بعدما لمس نتائج اصـــلاحات علـــي بن عيسى والتي حققت توفيراً كبيراً في النفقات لصالح خزينة الدولـــة(أبـــن تغريـــبردي، 1963). كل ذلك دفع الوزير علي بن عيسى إلى طلب الاستعفاء من منصب الوزارة، وبعد إلحاح(المسعودي، (د.ت)). شديد من علي بن عيســـى على الخليفة، تم اعفائه والقبض عليه سنة (304هـ/916م). دون أن يصادر امواله كما هي العادة المتبعة بل اكتفى بسجنه، فهو بذلك أول وزير للمقتدر لم تتم

مصـــادرته وتعذيــبه بعـــد عزلة عن منصب الوزارة، ولعل ذلك عائد إلى منهج الوزيـــر علي بن عيسى في استشارته للخليفة في كل الأمور، وفي امانته على ما تحت يده من أموال، وعدم التعرض لها كغيره من الوزراء.(السامرائي، 1971)

بيـــنما ذكر مسكويه أن سبب عزل علي بن عيسى عن الوزارة، أنه قُرب عــيد الأضـــحى، واحتـــيج إلى ماجرت العادة باطلاقه للحرم، فجاءته ام موسى القهـــرمانة في آخر ذو القعدة مخاطبة في ذلك، وكان علي بن عيسى محتجباً، فلم يأذن لها حاجبه واعتذر لها عذراً لطيفاً وصرفها صرفاً جميلاً، ولما علم علي بن عيســـى بخـــبرها فـــي حضـــورها وانصرافها، انفذ اليها واستعذرها فلم تعذره، وصـــارت إلى المقتدر بالله وإلى السيدة والدة المقتدر واغرتهما به وتكذبت عندها علـــيه، فأدى ذلك إلى القبض عليه، فكانت مدة وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً(مسكويه، د.ت). وفي ذلك دلالة واضحة على سيطرة النساء على شؤون الحكم، وتدخلهن في عزل الوزراء وتعينهم.

ولمـــا تولى أبن الفرات الوزارة للمرة الثانية (304306هـــ/916918م). بعد عزل علـــي بن عيسى، قال بعض العامة : " قاتلهم الله اخذوا المصحف، ووضعوا بدله الطنبور".(التوحيدي، 1985، ص54)

الوزارة الثانية 314316هـ/926928م

ازدادت الأزمة المالية سوءاً في وزارة أحمد بن عبيدالله الخصيبي (313 – 314هـــ/ 925926م). بسبب سوء إدارتة، إذا كان:" يواصل شرب النبيذ ليلاً، والنوم نهـــاراً في أيام وزارته كلها، واذ انتبه يكون مخموراً لا فضل فيه لعمل"(مسكويه، (د.ت). ص123).

فأشـــار مؤنس على الخليفة بعزله واستئزار علي بن عيسى بن الجراح، الـــذي كـــان يتولى الاشراف على أعمال مصـــر والشام في هذه الفترة(الصابي، 1958). فأصدر المقتدر أمره بتوليه علي بن عيسى الوزارة، فأنفذ مؤنس المظفر رســـولاً إلى دمشق ليحضر علي بن عيسى(الصابي، 1958). وأمر الخليفة عبيدالله بـــن محمـــد الكلوذانـــي بالنيابة عن علي بن عيسى بن الجراح لحين قدومه إلى بغداد.(أبن الاثير، 1979) .

ولمـــا اقـــترب موكـــب الوزير الجديد من بغداد، ضجت العامة وخرجت لاســـتقباله بمظاهر الحفاوة، بعد أن كان منفياً ومغضوباً عليه، لقناعتهم بأن سوف ما يقوم به علي بن عيسى من اجراءات هو لمصلحتهم، وهي المصلحة العامة.

فقال علي في ذلك :

وما الناس الا مع الدنيا وصاحبها   فكيف انقلبت يوماً به انقلبـــوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبـــت   يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال احد الشعراء بعد عودة الوزارة إليه:

بحسبك اني لا ارى لك عائباً   سوى حاسدٍ والحاسدون كثير
وانت مثل الغيث اما سحابـــة   فمزن وأما ماؤه فطهـــــور

وبعد ذلك استقبله الخليفة المقتدر بالله، وخلع عليه الخلع السلطانية، وأهداه فرشـــاً واثاثاً ومبلغ عشرين الف دينار(الصابي، 1958؛ أبن الجوزي، 1992). ثم بدأ الوزيـــر علـــي بن عيسى بن الجراح بمعالجة الوضع المالي والإداري، فعمد إلى تعيين أصحاب الكفاءات في الوظائف، واعتمد على أفراد ذوي خبرة في مساعدته في سير شؤون الدولة، امثال عبيد الله بن محمد الكلوذاني لديوان السواد، أبن مقلة لديوان الضياع، وسليمان بن الحسن بن مخلد على ديوان بيت المال، وعبدالرحمن بـــن عيســـى علـــى ديوان الحرم، وابي زنبور على ديوان الضياع والمصادرة، والفضـــل بـــن جعفر على ديوان المشرق، وقد قدر لخمسة من هؤلاء الكتاب ان يتولوا الوزارة فيما بعد.(أبن الاثير، 1979)

وجـــه علي بن عيسى اهتمامه للمشكلة المالية، فصار يشرف على الأمور بنفســـه، حتى أنه كان يواصل عمله إلى ساعة متأخرة من الليل، ولا ينام إلا بعد مقابلـــة أصـــحاب الدواويـــن وتصفية كل الحسابات اليومية معهم، وفرض رقابة شـــديدة على خزينة الدولة فطالب موظفيه بأن يقدموا تقريراً حسابياً في نهاية كل اسبوع، بدلاً من التقرير الشهري الذي معمولاً به سابقاً.(الكبيسي، 1974)

اســـتطاع الوزير علي بن عيسى بن الجراح بما اتخذه من تدابير مالية أن يعـــيد الـــتوازن بين الدخل والخراج، واستقرت الأحوال، وزادت الواردات، وقد امتـــنع الوزير علي بن عيسى عن أخذ راتب ووارد ضياع الوزارة، واكتفى بما

يــرده مــن ضــيعته، والتي كانت تقدر بمائة وسبعين الف دينار(مسكويه، (د.ت). بهــدف الاقتصــاد فــي النفقات، وتوفير الأموال لبيت المال، ومن ناحية أخرى ضــارباً أفضــل الامــثلة في نكرات الذات، وهو بذلك يكون قدوة حسنة لأولئك الموظفيــن الجشعين علهم يخففوا من غلو جشعهم وطمعهم في نهب اموال الدولة والمواطنيــن(الكبيسي، 1974). فازدادت ثقة الخليفة المقتدر بعلي بن عيسى، ووجه الــيه كتاب شكر، تقديراً لخدماته ونزاهته في عمله، ثم أمر بارجاع أموال الوزير علي بن عيسى والتي أخذت منه اثناء وزارته الأولى، وأثناء إشرافه على وزارة حــامد بن عيسى، فقال المقتدر : " استحييت من الله في مال علي بن عيسى فإني أخذته ظلماً".(أبن الأبار، 1986، ص188)

اغضــبت التدابــير المالية التي اتخذها الوزير الحاشية، لأنه كان يرى أن الاصلاح لا يكون الا مع الاقتصاد في النفقة ونفقه الخدم والحرم، فشرعوا يشون بــه، وقــاموا بمحاربته بالضغط على الخليفة المقتدر لعزله عن الوزارة، فطلب الاســتعفاء مــن الــوزارة، لكــن الخلــيفة رفــض ذلــك وطلب منه ان يصبر ويتحمل.(الصابي، 1958)

ولمــا رأى الوزيــر علــي بــن عيســى تهاون الخليفة في دعم برامجه الاصلاحية، بل واصبح أحد العقبات أمامها، لكثرة نفقاته، تلك النفقات التي كانت دائمــاً مكلفــة ومرهقة لخزينة الدولة، بالإضافة إلى قيامه بارباك تدابيره المالية، ومن ذلك ما قام به الخليفة من توزيع ارزاق اضافية للجند بلغت 240 الف دينار، مــع زيادة نفقات وارزاق الخدم(أبن الاثير، 1979؛ فوزي،1998). وفي وقت كانت الخزينة بحاجة إلى كل توفير ممكن، لتغطية نفقات الدولة المتزايدة.

عــند ذلك شعر بأنه ليس بمقدوره تلبية رغبات الخليفة والحاشية والجيش، وأنه لا يمكن ممارسة واجباته كاملة دون مساعدة مؤنس، الذي كان دائماً يضطر لمغــادرة العاصــمة دفاعــاً عن الحدود(أبن الاثير، 1979). فطلب الاستعفاء من منصــبه ولكــن الخليفة رفض لمعرفته الأكيدة بقدراته وشخصيته الادارية الفذة، وأمام اصرار الوزير على على الاستعفاء، وافق المقتدر على اعفائه سنة (316هــ 328م)(الصابي، 1958). وقال من نكبته:

فمن كان سائلاً لشماتـــــــــــــــة لما نأبني، أو شامتاً غير سائــل
فقد أبرزت مني الخطوب أبن حرة صبورا على أهوال تلك الزلازل

وقيل ان سبب استعفائه من الوزارة، أنه ركب يوماً في موكبه.

" فصـــار الغرباء يقولون من هذا ؟ من هذا ؟ فقالت امرأة : إلى كم تقولـــون، من هذا ؟ من هذا ؟ هذا عبد سقط من عين الله، فابتلاه بما تـــرون – فســـمعها علي بن عيسى فرجع إلى منزله، واستعفى من الوزارة، وذهب إلى مكة مجاور بها".(اليافعي، 1997، ص238) .

لـــم يكـــن علي بن عيسى في يوم من الايام يسعى لتولي منصب الوزارة، ويـــبذل الرشـــاوى كغـــيره من الوزراء، وانما كان الخلفاء هم الذين يكلفونه، لما عـــرف عـــنه مـــن حسن خلق وتقوى وأمانة، بالاضافة إلى تفرده عن معاصريه بشخصية إدارية فذة، وقدرة على معالجة القضايا المالية والادارية بحنكة وحكمة، لذلك كان من الطبيعي أن تستند إليه الوزارة مرتين في حياته.

ولاية المظالم

يعتبر النظر في المظالم صورة من صور القضاء، لكنها تحتاج إلى سلطة أعلـــى مـــن ســـلطة القاضي وينظر فيما يعجز عنه القضاة، وفي الدولة العباسية انشئ ديوان المظالم في خلافة المهدي (158169هـ/775786م) (الطبري، 1967). فكان عـــبارة عن هيئة تحكم عُلياً تشبه محكمة الاستئناف يستطيع المتخاصمين اللجوء إلـــيها إذا أرادو الطعن في حكم أصدره القاضي، ولم يحقق العدالة، أو لم يتمكن القاضــــي مـــن تنفيذه، وفي أية أمور قضائية عليا(عبدالفتاح، 1985). لذلك وضع الفقهـــاء شـــروطاً يجب توفرها فيمن يتولى النظر في المظالم فيها إن يكون جليل القدرة نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع.(الماوردي، 1978)

وقـــد عرف عنه بحبه للعدل والانصاف، فصيانة حقوق الرعية كانت من اهم الواجبات الملقاة على الخلفاء والوزراء، لذلك فقد حذر حكام الولايات من ظلم الرعـــية، وأمـــرهم بأنصافهم والنظر في شكاويهم ضد جباة الضرائب.(مســـكويه،

د.ت).

وبلــغ مــن اهــتمامه بالنظر بالظالم، ان جعل يوم الثلاثاء من كل اسبوع للــنظر بالمظــالم فــي وزارته الأولى والثانية، وذلك لما لها من اهمية في حياة الناس.(مسكويه، د.ت)

وفــي وزارة أبــن مقلة سنة (316هـ318هـ/928930م). أوكل الخليفة المقتدر بالله إلى علي بن عيسى النظر بالمظالم(التنوخي، 1971). لثقة الخليفة به، وبقدرته على إحقاق الحق وازهاق الباطل وارجاع الحقوق إلى اصحابها.

ولمــا تولى سليمان بن الحسن بن مخلد الوزارة سنة (318319هـ/930931م). كلــف المقتدر علي بن عيسى النظر في المظالم(مسكويه، د.ت). وكذلك في وزارة عبــيدالله محمــد الكلوذانــي ســنة (319هـــ931م). عهــد المقتدر بالله إليه بولاية المظالم.(مسكويه، د.ت)

وفي خلافة القاهر بالله (320322هـــ/932933م). اسند أيضاً النظر في المظالم إليه (أبن الاثير، 1979). وذلك لضعف شخصية الوزير، وعدم قدرته على السيطرة على الأمور، وأمر النظر في المظالم تحتاج إلى شخص جليل القدر وعظيم الهيبة كعلي بن عيسى.

ولمــا بويع المتقي لله بالخلافة (329333هـــ/940944م). عهد بالنظر بالمظالم إلــيه، فجلــس للمظــالم، ونظر في خصومات بين عوام، ورد ما يتعلق بعامل، وصاحب الديوان.(الصابي، 1958)

كــان النظر في المظالم من اختصاصات الخليفة، ولكن تنازل الخلفاء عن حقهــم فــي النظر بالمظالم إليه في أكثر من مرة، له اكبر دلالة على ثقة الخلفاء بأمانته وعدله خلقه.

الفصل الرابع
إصلاحات الوزير علي بن عيسى

إصلاحاته

قـام الوزيـر علـي بن عيسى بإجراء العديد من الإصلاحات الاقتصادية والإدارية، بهدف تحسين الأوضاع الاقتصادية والقضاء على التخبط الإداري بالدولة، إذ اتصف عهد الخليفة المقتدر بتدهور الأوضاع الاقتصادية، وكثرة الأزمات المالية، وانتشار الفساد في أجهزة الدولة المختلفة، وذلك لعدم قدره الخليفة علـى السيطرة على شؤون الحكم وتصريف الأمور، لذلك كلما ازدادت الأوضاع سوءاً في الدولة، كان يعهد إلى علي بن عيسى بن الجراح بالوزارة لاصلاح ما أفسده الآخرون، والذي استحق لقب الوزير المصلح، وسنأتي فيما يلي على ذكر إصلاحاته.

الإصلاحات

الزراعية

يعد الوزير علي بن عيسى الجراح من أكثر وزراء المقتدر عناية بالزراعة إذ افتتح وزارته الأولى سنة (301 304هـ/913916م). بتعميم منشور على العمال أوصاهم فيه بإنصاف بالرعية وإشاعة العدل، والاهتمام بالمزارعين والنظر في الشكاوي المقدمه ضدهم، وأعلن أنه لن يتقاضى عن أي تقصير يحدث من أحد موظفي الدولة، وأنذر باتخاذ إجراءات شديدة ضد كل شخص يعمل على تحقيق أطماعه الشخصية عن طريق الرشوة(Bowen,1928). وذلك لإدراكه العلاقة الوثيقة بين الدخل الحكومي وحالة الزراعة، إذ كانت ضريبة الأرض تشكل أهم مورد لبيت المال، لذا فإن النشاط الزراعي يعني زيادة الوارد، وإن مساعدة الفلاحين تعتبر سياسة مالية مستنيرة.(التنوخي، 1971)

فقد جاء في كتابه لعماله :

"وتمكن في نفسك أنه لا رخصة عندي ولا هوادة في حق من حقوق أمير المؤمنين أغضي عنه ولا درهم من ماله أسامح فيه، ولا تقصير في شيء من أمور العمل أصبر لقريب أو بعيد عليه. ولا تكون بإظهار أثر جميل في ذلك أشد عناية منك بأنصاف الرعية والعدل ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها، فإني أطالبك بذلك كما أطالب بتوفر حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها"(مسكويه، (د.ت).ص27؛Bowen,1928).

فهو بذلك يتوعد العمال ويحذرهم من التجاوز على الرعية وظلمها، ويحثهم على إقامة العدل وإحقاق الحق فيها، لأنه بانتشار العدل بين الناس تعمر الأرض وتزدهر الزراعة.

كذلك تبني الوزير علي عيسى بن الجراح سياسة التوسع في الزراعة، إذ سمح للمزارعين بزراعة حرم الأنهار بالمحاصيل(الصابي، 1958). لزيادة الإنتاج الزراعي وبالتالي زيادة موارد بيت المال، كما قام علي بن عيسى بتقديم المساعدة اللازمة للفلاحين الفقراء لزراعة الأرض، وذلك عن طريق اقراضهم الأموال لشراء الأبقار لحراثة الأرض واعطائهم البذور المختلفة للزراعة.التنوخي، 1971)

كما عمل الوزير علي عيسى بن الجراح على رفع الظلم والتعسف في الجباية عن المزارعين، فقد تظلم سكان بادوريا من عاملهم، لسوء معاملته وظلمه لهم والتعسف في جباية الخراج فكان يشدد عليهم بالسجن ويعذبهم، وكتب إلى الوزير علي بن عيسى بن الجراح يغريه بهم فقال:

"إن هؤلاء القوم يدلون بالجلد، وعليهم أموال وقد صبروا على الحبس والقيد ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع، والوزير أعلى عيناً وما يراه"(مسكويه، (د.ت). ص30).

فجـــأة رد الوزيـــر علي بن عيسى قائلاً: "الخراج دين لا يجب فيه غير الملازمة فلا تتعدى ذلك إلى غيره"(مسكويه، (د.ت). ص31).

فرح أهل بادوريا بذلك، وفي السنة التالية زاد إنتاج بادوريا الزراعي مما أدى إلى زيادة ارتفاعها من الخراج إلى بيت المال، وقاموا أيضا بزراعة السطوح لثقتهم بعدل الوزير علي بن عيسى وأنصافه. (الصابي، 1958)

كذلك تظلم سكان منطقتي الصلح والمبارك إلى الوزير علي بن عيسى من عاملهم، وذلك لإرهاقهم بالضرائب واستعمال القسوة في تحصيلها، فأرسل الوزير علي بن عيسى مفتشاً للنظر في مظلمتهم، وبعث معه كتاباً جاء فيه:

> "... وأعلـــم أن أقبح الناس في الدنيا ذكراً، وأعظمهم عند الله وزراً، من وصف عدلاً وأتي جوراً، وأحسن قولاً وأساء فعلاً، وأما ما ذكرت أن هـــؤلاء المتظلميـــن أوقعـــوا فـــيه المغأبنة، وابتاعوه من أراضي المـــزروعات مصـــابرة، فارتجعـــته منهم لتبيعه بالثمن الوافر، والنقد الحاضـــر، فقـــد عدلت في أمرهم عن طريق الحكم إلى أشنع جهات الظلـــم،...، فسلم إليهم –عافاك الله ملكهم ووفهم حقهم"(الصابي، 1958، ص364).

وفـــي هـــذا دلالة واضحة على حرص الوزير علي بن عيسى على رفع الظلم عن المزارعين وإعادة حقوقهم المغتصبة إليهم من الولاة، لإدراكه العواقب الوخيمة على الإقطاع الزراعي نتيجة ظلم المزارع، الذي هو العمود الفقري لهذا القطاع.

لقد اتصف علي بن عيسى بن الجراح بحبه للعدل، والعمل على رفع الظلم والجـــور عـــن الرعـــية، وعـــدم التهاون مع الولاة الظالمين، وقيامه باتخاذ أشد الإجـــراءات بحقهم، ومن ذلك تظلم أهل ديار ربيعة اليه من التعسف في الجباية، ومـــن ظلم لحق معاملاتهم، فقد كان عاملهم يكرههم على تضمين غلات بيادرهم بالحـــرز والتقدير، وإلزامهم حق الأعشار في ضياعهم، واستخراج الخراج على أوفـــر مـــا يكـــون من المحصول، واكراه وجوههم وتجارهم على ابتياع الغلات السلطانية بأسعار مرتفعة، فأرسل الوزير كتاباً على الفور يأمره:

"أن تجـــري ســـائر رعيتك على المعاملات القديمة، وتحملهم على الرســـوم السليمة، حتى يعودوا إلى أفضل حال عهدوها واجمل سيرة حمدوهـــا، وتـــزيل الســـنن الجائـــرة وتـــبطلها، وتقطـــع أســـبابها وتحسمها"(الصابي، 1958، ص363؛ الدوري،1974) .

لـــم يكن علي بن عيسى يتهاون في مواجهة أي تقصير من جانب موظفي الدولـــة، وكـــان دائماً ينذر باتخاذ أشد الإجراءات ضد كل من يعمل على تحقيق مصالحه الشخصية على حساب المصلحة العامة.

كـــان ايضـــاً حريصـــاً علـــى عدم ارهاق الفلاحين في جباية الضرائب، وتحمـــيلهم فوق طاقتهم، ففي سنة (321هـ/933م). وأثناء توليه منطقة واسط وسقي الفـــرات، تظلـــم أهـــل الكوفة إلى من ظلم عاملهم وسوء معاملته لهم في جباية الضرائب، إذ كان يثمن أسعار الفواكه بأعلى من سعر السوق، ثم يعمد إلى جباية الضـــريبة عليه نقداً على أساس هذا التقدير، فوجه إليه رسالة يأمره فيها بتحصيل الخراج على أساس نظام المقاسمة في المحصول.(الصابي، 1958؛ الدورى، 1974)

كمـــا اعتـــنى بحماية دافعي الضرائب بصورة عامة فكتب إلى العمال أن يـــنظروا في شكاوى المزارعين الذين اتلف بعض غلتهم بآفة طبيعية، ومتى ثبت لـــه حصول التلف فعليه أن يخفف عنهم الضريبة بما يتناسب والضرر، واستيفاء الخراج بالعدل على الرعية كافة فقد جاء في رسالة وجهها إلى عماله:

"ســـبيل مـــا يـــرفع إليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمـــته، ويدعي أنه اتلف بالآفة من غلته، أن تعتمد في كشف حاله علـــى اوثـــق ثقاتك وأصدق كفاتك حتى يصح لك أمره، فتزيل الظلم عـــنه وتـــرفعه وتضع الأنصاف موضعه، وتحتسب من المظالم بما يوجـــب عليه جنسه، وتستوفي الخراج بعده من غير محاباة للأقوياء، ولا حـــيف علـــى الضـــعفاء، فـــأعمل فيما رسم لك ما يظهر ويذيع ويشـــتهر ويشـــيع ويكـــون العدل به على الرعية كاملاً، والإنصاف شاملا إن شاء الله".(مسكويه، (د.ت). ص28)

لقد كان علي بن عيسى مؤمناً أنه بانتشار العدل بين المزارعين ورفع الظلم عنهم، هو السبيل الوحيد لعمارة الأرض وزيادة الإنتاج، وبالتالي زيادة دخل بيت المال، إذ كلما شعر المزارع بالعدل والإنصاف، أقبل على عمله بكل جد واجتهاد لاطمئنانه على أن تعبه وجهده ونشاطه لن يذهب لغيره، فقد تظلم أهالي النهراوانات إليه من جراء ظلم وإليهم في مساحات مزروعاتهم، فأرسل إليه الوزير علي بن عيسى يتوعده ويحذره من ظلم المزارعين، ويأمره بإعادة الحقوق إلى أصحابها، فكانت النتيجة أن زاد الإنتاج وعمرت الأرض، وفي ذلك قال عامل النهراويات:

"فتحرزنا وتحفظنا وحرسنا الناس ونفوسنا، وزاد الارتفاع في السنة الآتية ثلاثة في كل عشرة، لأن العدل شاع، والحيف زال، فتوفرت العمارة "(الصابي، 1958، ص372) .

، مما يدل على بعد نظر الوزير، وإدراكه أنه متى انتشر العدل بين الناس دخلت الطمأنينة إلى قلوبهم على أرزاقهم، فيقبلوا على أعمالهم بكل نشاط، مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج، وبالتالي زيادة دخل خزينة الدولة، بالإضافة إلى الرخاء في معيشته الرعية.

وبلغ من شدة حرص علي بن عيسى على المزارعين ومصالحهم وعدم إلحاق الظلم بهم، أنه عارض إعطاء الخليفة ضمان أعمال الخراج بالسواد والأهواز وأصبهان للوزير حامد بن العباس، عندما كان نائباً له في الوزارة، وذلك لما عرف عنه من ظلم وتعسف للمزارعين، ولإدراكه الأخطار المترتبة على جشع واستغلال حامد بن العباس للمزارعين في هذه المناطق(الصابي، 1958). لكن رغبة الخليفة المقتدر في جمع الأموال وتوفيرها بسرعة، كانت أقوى أثراً من سياسة علي بن عيسى الإصلاحية عليه.(السامرائي، 1971)

لقد كان الوزير مؤمناً بأن أي إصلاح اقتصادي لأحوال الدولة، يجب أن يبدأ بإصلاح الوضع الزراعي، لكون ضريبة الخراج أصبحت هي مصدر الدخل الثابت لبيت المال وأن استقرار البلد وانتعاش الحالة الاقتصادية تقتضي فرض

ضـــرائب معقولة(الــدوري، 1945). وقد أثبتت إصلاحات الزراعية نجاحها، حيث ازدهرت الزراعية، وزاد دخل بيت المال من الخراج، ومن ذلك قال مسكويه:

"... فبانـــت بركـــته على الدنيا، وعمر البلاد، وتوفر الارتفاع، واســـتقام أمـــر الســـلطان، وعـــادت هيـــبة الملك وصلح أمر الرعية".(مسكويه، (د.ت). صص 2829)

الضريبية

وفـــي مجـــال الاصلاح الضريبي أنتهج علي بن عيسى بن الجراح سياسة ضـــريبية تهدف إلى التخفيف عن الرعية، وذلك بإلغاء الضرائب التعسفية وغير الشـــرعية، وفـــرض بدلاً منها الضرائب المعتدلة والمتفقة مع نصوص الشريعة الإســـلامية، فقام بإسقاط المكوس التي كانت تؤخذ بمكة، وحصن مهدي، وسوق بحـــر بالأهواز(مجهول، 1972؛ مسكويه،(د.ت)). وإزالة جباية الخمور بديار ربيعة، وإلغاء ضريبة التكملة بفارس.(مسكويه، (د.ت)؛ الهمداني، 1964)

وحقيقة هذه الضريبة، أنه لما غلب الصفاريون على بلاد فارس، جلى قوم مـــن أرباب الخراج عنها لسوء المعاملة، فجرى توزيع الخراج على الباقين، ولم تزل هذه التكملة تستوفي على زيادة تارة، ونقصان أخرى، فلما تولى الوزير علي بـــن عيســـى الـــوزارة سنة 301304هــ/913916م، فرح أهل فارس بتوليته، ورفعـــوا إليه تظلمهم من هذه الضريبة، لما سمعوه من عدله. وتقواه، فأرسل عبد الرحمن بن جعفر للنظر في شكواهم ومعرفة حقيقة هذه الضريبة، فكتب إلى علي بن عيسى كتاباً يقول فيه:

"بـــأن العمـــال يستضـــعفون قوماً من أرباب الخراج فيلزمونهم من الـــتكملة أكـــثر ممـــا يلـــزمهم، ويرهبون آخرين فيحملونهم أقل مما يخصـــهم، ...، وإن من طرائف ما يجري بفارس مطالبة الناس بهذه الـــتكملة وهـــي ظلم لا شك فيه ولا شبهه، ومما سنه الخوارج جوراً ومجازفة"(التنوخي، 1971،ص123) .

وعـــرف أهل بلاد فارس ما يجري بخصوص ضريبة التكملة في بغداد، فأرســـلوا وفداً من كبار القوم إلى الوزير علي بن عيسى ليطرحوا عليه قضيتهم ومطالبـــته بالغـــاء هـــذه الضريبة، لكونها ليس لها أساس شرعي، وأن فيها ظلم وتعسف عليهم، فدخلوا عليه في يوم جلوسه للمظالم وقالوا:

"تمـــنع غلاتـــنا وتعـــتاق في الكناديج حتى تهلك وتصير هكذا – وطرحوا من اكمامهم حنطة محترقة ونطالب بتكملة ما أوجبه الله علينا فتدعونا الضرورة إلى بيع نفوسنا وشعور نسائنا وأدئها حتى تطلق الغلة وهي على هذه الصورة"(الصابي، 368,1958،) .

ثـــم رموا من اكمامهم تيناً يابساً وخوخاً ولوزاً وفسدقاً وقالوا:"وهذا كله بـــلا خـــراج لقومـــاً آخريـــن، والـــبلاد فـــتح عـــنوةً فإما تساوينا في العدل أو الجور".(الصابي، 1958، 368) .

قام الوزير علي بن عيسى على الفور بإبلاغ الخليفة المقتدر بذلك، حتى لا يســـتبد برأيه واستأذنه في إسقاط ضريبة التكملة، فجمع القضاء والفقهاء ومشايخ الكتاب، وبعد مناقشات مطولة، أفتوا الفقهاء والقضاء بالغاء ضريبة التكلمة لكونها غـــير شرعية ولما فيها من ظلم على أهل فارس(التنوخـــي، 1971، ص127). وفي ذلك قال وكيع القاضي –كما نقل عنه الصابي:

"لقـــد فعـــل الوزير – علي بن عيس بن الجراح في هذه القصة ضـــريبة التكملة كفعل أبى بكر –رضي الله عنه في مطالبة أهل الردة في الزكاة(الصابي، 1958، ص369) .

ونقـــل التنوخـــي، أيضاً قول الزجاج النحوي: "لقد حكمت –علي بن عيسى بن الجـــرح بحكـــم لـــو كـــان عمـــر بـــن الخطـــاب –رضي الله عنه حاضرا ما تجاوزه"(التنوخي، 1971،ص125) .

وكتب الوزير بذلك كتاباً إلى عامل فارس جاء فيه:

"... وجد أمير المؤمنين أفضع ما اخترعوه، واشنع ما ابتدعوه، في مدتهم التي طال أمدها، وعظم ضررها، تكملة اجتبوها بكور فـــارس فـــي سني غوايتهم لما طالبوا أهلها بالخراج على أوفر

عـــبرتهم مـــن غير اقتصار فيه على الموجودين، حتى فضوا – فرقوا خراج ما خرب من ضياع المفقودين، فأنكر أمير المؤمنين ما استقر من هذا الرسم الذميم وأكبر ما استمر به الظلم العظيم، ورأى صـــيانة دولته عن قبيح معرته، وحراسة رعيته من عظيم مضرته، مع كثرته ووفور جملته، فأرفع عن الرعية هذه التكملة رفعاً مشهوراً، فقد جعل الله من سنها مدحوراً، وناد في المساجد الجامعة بإزالتها وإبطال جباتها ليذيع ذلك في الجمهور، ويتمكن السكون إليه في الصدور، ويحمد الله الكافي على ما أتاحه الله له من تعطف أمير المؤمنين ورعايته".(الصابي، 1958، ص370) .

وفـــرض علـــي بـــن عيسى بدل ضريبة التكملة ضريبة الشجر على بلاد فـــارس، كونهـــا افتتحت بالقوة، وأنها بأيدي المزارعين على سبيل الإيجار، لذلك يجـــب علـــيها الخـــراج بالإضافة إلى تعويض خزينة الدولة عن ضريبة التكملة والبالغة ألف ألف درهم، حيث بلغت ضريبة الشجر على بلاد فارس ما يقرب من ضريبة التكملة، وكتب إلى عاملة على بلاد فارس كتاباً جاء فيه:

"ولما فتح الله كور فارس على المسلمين، وأزال أيدي المتغلبين، وجـــد أمـــير المؤمنين أهلها قد احتالوا في إسقاط خراج الشجر بأســـره، مـــع كـــثرته وجلالـــة قدرة، فأمر بأشخاص وجوههم، واتصـــلت المـــناظرة لهـــم بمشهد من قضائه وخاصته، إلى أن اعـــترفوا مذعنين، والتزموه طائعين، وضمنوا أداء ما أوجبه الله فـــيه مـــن حقوقـــه على ما تقدر من وضائعه وطسوقه، فطالب بإخـــراج الشـــجر فـــي سائر الكورة".(التنوخي، 1971، ص130؛ الصابي، 1958، ص371) .

ولما تولى الوزارة أبو الحسن علي بن الفران سنة (304هـ/916م). بعد عزل علـــي بـــن عيسى عنها، أحتج علي بن الفرات على علي بن عيسى بإسقاط هذه الضريبة وقال:

"لعلـــي بـــن عيسى، ابطلت الرسوم وهدمت الارتفاع، فقال علي بن عيســـى: أي الرســـوم أبطلت وارتفاع هدمت، قال المكس في مكة، فقلـــت له: قـــد أزلـــت هذه وأشياء كثيرة منها، وعدد الأبواب التي رفعها، وكان مال ذلك في السنة خمسمائة ألف دينا فلم استكثرها مما حططـــته عن أمير المؤمنين من الأوزار بها، أو غسلته من الأدران عـــن دولته فيها، ولكن انظر إلى ما حططت وأبطلت على ارتفاعي وارتفـــاعك ونفقاتي ونفقاتك".(مسكويه، (د.ت). ص29؛ الذهبي، 1985، ص8) .

ولمـــنع التلاعب في واردات الدولة من قبل رووساء الدواوين في مناطق الدولـــة المخـــتلفة، أمـــر علـــي بن عيسى، أصحاب الدواوين بإخراج العبر من دواويـــنهم بعـــبر السنين القريبة لأنها أوفر وحدد لهم قيمة ما سيخرجه كل واحد مـــنهم من العبر من كل ناحية من نواحي الضمان، مضافاً إليه النفقات الراتبة، إذ بعث إليهم بكتاب قال فيه:

"فأخرج عبرة المحمول والمسبب مع مال النفقات الراتبة في نواحي السواد والأهواز لسنة من ثلاثة سنين أولاهن من سنة ثلاث وأخرهن مـــن ســـنة خمس وثلثمائة وثلاثين ألف درهم، أما أراضي الضياع الخاصـــة والمســـتحدثة والعباسية والفراتية، فأخرج ثمانية ألف ألف درهـــم وثمانمائـــة ألـــف درهم، وأما عبرة مال أصبهان مع النفقات الراتـــبة ســـتة آلاف وثلاثمائـــة ألـــف درهم فيكون مال العبرة لهذه الأراضـــي إضـــافة إلـــى مـــال النفقات الراتبة لسنة واحدة وثمانية وأربعيـــن ألف ألف درهم ومائة ألف درهم، ثم يضاف إليها الزيادة الســـنوية التي بذلها الوزير حامد بن العباس مقابل ضمأنه الذي قدر بخمســـة آلاف ألف من قيمة ضمأنه البالغ أربعمائة ألف دينار فيكون مجموعـــة ذلك في السنة الواحدة ثلاث وخمسون ألف ألف وتسعمائة ألف درهم".(مسكويه، (د.ت). ص71) .

كذلــك كـــان الوزير علي بن عيس يطالب العمال بعمل الحسابات لنفقات وإيرادات أقاليم من الأموال بدقه ورفعها إليه، بالإضافة إلى حثهم على حمل المال مــن نواحـــيهم إلى بيت المال قي وقته ودون تأخير، وذلك لمنع ارباك اصلاحاته المالـــية، إذ أن التأخـــير في وصولها يتعارض مع برامجه الأصلاحية في الدولة فوجه كتاب إلى أحد عماله جاء فيه:

"... وأنـــت تعرف صورة الحال وتطلعي –مع شدة الضرورة إلى ورود المال، وكان يجب أن تبعثك العناية على الجد في الجباية حتى تـــرد حمولك، وتوصل ما نتوقع وروده من جهتك، ونشدتك بالله لما تجنبـــت مذاهب الإغفال والإهمـــال وقرنت الجواب على كتابي هذا بمـــال تميزه من سائر جهاته وتحصله، وتبادر به وتحمله، فإن العين إلـــيه ممـــدودة، والساعات لوروده معددة، والعذر في تأخيره ضيق، وأنـــا عليك من سوء العاقـــبة مشفق والســـلام"(الصـــابي، 1985، ص 365).

وفرض رقابة شديدة على خزينة الدولة فطالب موظفيه بأن يقدموا تقريراً حسابياً كل أسبوع بدلاً من التقرير الشهري الذي كان معمولاً.(Sourdel,1959)

وقـــد بلـــغ من شدة حرص الوزير علي بن عيسى على بقاء تدفق ضريبة الخـــراج إلـــى بيـــت المال، لكونها أصبحت هي المصدر الوحيد والثابت لخزينة الدولـــة، أنـــه رفض السماح ببيع الأراضي الخراجية حيث أرسل كتاباً إلى عامل الخراج في منطقة واسط جاء فيه:

"جمـــيع نواحـــي واسط –اصلحك الله من السواد المفتتح عنوة وليس يملكـــه السلطان –أعزه الله فيباع لأنه فيء للمسلمين يقوم مقام الوقف على جميعهم، وإنما تبايع أهلية فيه يجري مجرى السكن لأجل ما أدوه يؤدونـــه من الخراج وهو الكراء. ومن غرس في هذه الحريم نخلا أو شجرا أو زرعه غلة أو خضرا، فقد نفع سلطأنه –أعزه الله وثمر ماله بما صنع".(الصابي، 1958، 365) .

وفـــي سنة (306هـــ/918م). وكجزء من اصلاحات الوزير علي بن عيسى، قـــيامه بعمل قائمة مفصلة لموارد المالية للدولة، وقد علل جورجي زيدان وجود هذه القائمة إلى أن الوزير علي بن عيسى قد اضطر إلى كتابتها ضمن تقرير إلى الخليفة المقتدر لتبرئة نفسه لما لحق ببيت المال من عجز، ولم عثر على ما يبرر هـــذه القول، حيث لم تورد المصادر القديمة هذه القائمة، فقد نقلها جورجي زيدان من كتاب جباية الدولة العباسية سنة (306)هـــ، للبارون فون كريمر، وقد اشتملت القائمـــة على مجموع دخل الدولة من الخراج والأعشار ورسم الجوالي وواردات الضـــياع، والقائمة مقسمة إلى أربعة أقسام، جباية السواد، جباية المشرق، جباية المغرب، جباية الأموال الخاصة.(زيدان ، (د.ت))

كذلـــك عمـــل قائمة خاصة بنفقات الدولة سنة (306هـ/918م). وذكر علي بن عيســـى بـــالعمل الذي عمله لارتفاع الدولة في سنة ست وثلاثمائة، ونعى به الدنيا بتقاصر مواردها وتناقص أموالها (الصابي، 1964).

وفـــي ســـنة (312هـــ/924م). كلف علي بن عيسى بالاشراف على أعمال مصـــر والشـــام فـــي وزارة محمـــد بن عبيدالله الخاقاني، فقام بأخذ الجزية على القسيسين والرهبان والأساقفة في مصر، لمواجهة العجز المالي في مصر، فسافر فـــريق مـــن الرهبان إلى العراق حيث رفعوا شكواهم إلى الخليفة المقتدر، فأمر بإعفائهم منها.(أبن بطريق، 1909)

لـــم يكـــن علي بن عيسى، يأبه بأصحاب النفوذ ولا تأخذه في الحق لومة لائـــم، فـــي ســـبيل اصلاح الأوضاع الاقتصادية المتردية بالدولة، ولو كان ذلك يخص الخليفة نفسه، ومن ذلك أن أم موسى وفاطمة، قهرمانتي المقتدر قالتا له:

"وقـــع بعشرة ألاف درهم للمجيبة ثياب أمير لامؤمنين، ثم جاءتا فقالتا دفع بعشـــرة آلاف درهـــم للمصممة، ثم قالتا: وقع بعشرة آلاف درهم للمزررة فقال لها: أمير المؤمنين مقطوع اليد حتى لا يقدر أن يتزرر، ثم قالت: وقع لعشـــرة آلاف للمبخرة، فقال: لو أخرج أمير المؤمنين من تحت ثيابه وأخذ المجمرة وفر على بيت مال المسلمين عشرة آلاف درهم (أبن الوردي، 1969 ، ص250) ثم قال:

إن بيـــــــتا تـــــــربه | أم موســـــــى وفاطمـــــة
لجديــــر بــــأن تــــرى | ربــــة البيــــت لاطمــــة

وفـــي ذلك دلالة على كثرى تفقات الحاشية، وفي وقت كانت الدولة بأمس الحاجة لتوفير هذه الأموال.

وفـــي سنة (314هـ/926م). تقلد علي بن عيسى الوزارة للمرة الثانية، فرأى اخـــتلاف النواحي في وزارة كل من الخاقاني والخصيب، ونقصان الارتفاع من الضـــرائب المفروضة على الأرض الخراجية، بالإضافة إلى تضاعف النفقات إذ وجد أن نفقات السلطان زائدة على دخله زيادة مفرطة.(مسكويه، (د.ت))

ولمواجهـــة العجـــز المالـــي الكبير في ميزانية الدولة، قام الوزير بإجراء إصلاحات مالية عاجلة لتدارك الوضع، وإنقاذ الخزينة من الإفلاس فقام في

"تخفـــيف المؤن وحذف الكلف ونقص الخرج، والمضايقة في الجاري والرزق، ورد كثير مما وقع به أبو علي الخاقاني من الإثبات والزيادة"(الهمداني، 1964، ص204).

وكانت هذه الزيادات قد

"لحقـــت القـــواد وسائر أصناف الجند، ولحقت الحدم والحاشية وجمـــيع الكـــــتاب والمتصـــرفين، وكانـــت كـــثيرة"(مســـكويه، (د.ت).ص29).

حيـــث نظر في أرزاق الرجالة المصافية الذين كان مقدار أرزقهم يصل إلى ثمانين ألف دينار إضافة إلى أرزاق رجال مؤنس المظفر وقدره ستمائة ألف ديـــنار في كل سنة باستثناء الرجالة منهم والحجرية فإن أرزاقهم كانت تطلق مع نظرائهم من فرق الجيش الأخرى. وكان رجال مؤنس يحصلون على أرزاقهم من نواح اختارها مؤنس يعود غلتها عليه(مسكويه، (د.ت). كذلك قام علي بن عيسى بن الجـــراح بالتقلـــيل مـــن أرزاق هؤلاء، بالإضافة إلى النظر في أرزاق الحجاب والحشـــم والمتطببين والفرسان والمنجمين والفراشين والطباخين وسائر المرتزقة مـــن الخـــدم ممـــن يأخذون أرزاقاً أكثر مما يقدمون من خدمات للدوله (مسكويه،

(د.ت)). كمــا قـــام الوزير علي بن عيسى بانقاص الأرزاق الجارية على رؤساء الدواوين والخدم والحشم وغيرهم فعمل على انقاص أرزاق روؤساء الدواوين من الثلثيـــن إلى النصف، وعمد إلى إسقاط أرزاق الكتاب وأولاد الكتاب اللذين كانوا يحضـــرون الدواويـــن ولكـــنهم لا يعملون بها، كما اسقط أرزاق غلمان روؤساء الدواويـــن، وجعـــل أرزاق أصحاب البرد والمنفعين ثمانية أشهر في السنة، كذلك اســـقط أرزاق الكـــتاب والتجار اللذين كانوا مسجلين في سجل الفرسان والرجالة برســـم الـــنوبة ولا يحملـــون الســـلاح، ثم اسقط أرزاق الاولاد الذين في المهود بالإضـــافة إلـــى أرزاق الخـــدم والحشـــم والجلساء والندماء والمغنيين وارباب الشفعات. (مسكويه، (د.ت)؛ الصابي،1958)

لقد كانت سياسة علي بن عيسى الاصلاحية تقوم على أساس الاقتصاد في النفقات قدر الإمكان، فقد نظر إلى نفقات مطبخ الخليفة نفسه، فوجدها مرتفعة بالإضافة إلى أنها تؤخذ وتنفق على ما لا يحتاج إليه الخليفة، فعمد إلى اسقاط هذه الـــنفقات(الصابي، 1958؛ Bowen,1928). كما انقص ارزاق الفراشين من الزيت والشـــمع فـــي الشتاء نظرا لقصر ساعات العمل فيه ولما عوتب على ذلك قال: "ألـــيس إذا احـــتاجوا إلى زيادة طلبوها، وكذلك إذا وقع نقصان فليوفروه"(الصابي، 1958، ص380)

وبذلـــك يكـــون علـــي قد حاول أن ينقص من المصاريف إلى أدنى حد، مخفضا بذلك كل النفقات التي كان يراها زائدة.(Sourdel,1959)

لقـــد حاول الوزير أن يتدارك العجز المالي الذي عانت منه خزانة الدولة حتى بالاقتصاد بالأمور الصغيرة، وقد شنع الوزير علي بن الفرات على علي بن عيسى بعد عزله عن الوزارة وأثناء مناظرة اقتصادية بينهما بقوله:

"وشـــغلت نفســـك بـــإخلاق المملكة والنظر في علوفة البط، والحطـــيطة، مـــن أرزاق الناس، وما جرى هذا المجرى من الصـــغار المســـتهجنات، لعمـــارة بيت واحد أصلح للسلطان وأعود عليه من توفيرك ما تقربت به إليه"(الصابي، 1958، ص 378)

لكـن الوزير علي بن عيسى كان يرى أن عدم الاهتمام بالأمور الصغيرة يؤدي إلى أهمال واضاعة الأمورر الكبيرة فأجاب بقوله:

"لا تتعجـب من ذلك، فإن لكل أمر حظاً من النظر والتفقد، ولو لم نـتفقد الصغير لأضعنا الكبير، وهذه أمانة لا بد من أدائها في قليل مـن الأمـور وكثيرها، ولما إنا نظرنا في هذا الدقيق ساعة فكذلك نـنظر فـي الجليل ساعة نظرا يؤدي إلى استخلاص البلد العظيم، وتحصيل المال الجسيم واعادة الشاذ إلى الطاعة، وتأتي من التوفير بمـا يضـعف علـى أرزاقنا للسنين الكثيرة، وإذ علم معاملونا إنا نراعـي أمورهـم هـذه المـراعاة، لـزموا الأمانـة، وخـافوا الخيانة".(الصابي، 1958، ص 379).

وقـد ظهـر حـرص الوزيـر فـي المحافظة على المال العام، أنه قطع مخصصات أخته اسماء من بيت المال، وكان قد خصصها لها الوزير أبو الحسن علـي بن الفرات لتستعين بها في معيشتها، وفي ذلك دلالة واضحة على حرصه علـى أمـوال الدولـة وعدم انفاقها إلا في الوجوه الشرعية لها.(مسكويه،(د.ت)؛ (Bowen,1982

واعتـنى كذلـك بممتلكات الخلافة وأموالها الخاصة، بعد أن أصبحت هذه الأمـلاك العوبه في يد الخدم والحرم وحاشية الخليفة، يتصرفون بها كيفما شاؤو وبدون علم الخليفة، ومن ذلك إن علي بن عيسى بن الجراح سأل الخليفة المقتدر عـن سبحة من الجوهر، قيمتها ثلاث مائة ألف دينار، فقال المقتدر: في الخزأنه فطالـب علـي بـن عيسـى بإحظارها، فطلبت فلا توجد، فقام علي بن عيسى بإخـراجها من كمه وقال: "عرضت علي فاشتريتها، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ فما الذي يحفظ"(عريب ، 1964، ص113).

لقد استطاع علي بن عيسى بما اتخذه من إجراءات واصلاحات اقتصادية بالدولـة، أن يعـيد التوازن المالي لخزينة الدولة خلال توليه منصب الوزارة في عهـد الخلـيفة المقـتدر، ومواجهة الأزمات المالية والتي كانت تتكرر في عهود الـوزارات السابقة، إذ لم يستطع أي وزير في عهد الخليفة المقتدر من أن يواجه

المشكلات الاقتصادية والأزمات المالية واقتراح الحلول لها كما فعل الوزير علي بـــن عيســـى بـــن الجـــراح، وما إن عزله عن الوزارة سنة (316هـ/928م). حتى أصبحت الخزينة غير قابلة لأي اصلاح بعده.(الدوري، 1945)

الإصلاحات المصرفية

يرجع الفضل في إنشاء مصرف رسمي(التنوخي، 1971؛ الدوري،1974) إلى الوزير علي بن عيسى الذي اضطرته حالة الخزينة الحرجة في وزارته الأولـــى (300 304هـــ/912916م). إن يدفع الجهبذيين اليهوديين إلى تأسيس مصرف الدولة، استدعاهما وقال لهما:

> "أنـــي احـــتاج فـــي كل هلال إلى مال أدفعه في ستة أيام من ذلك الشهر إلى الرجالة مبلغة ثلاثون ألف دينار، وربما لم يتجه في أول يـــوم مـــن الشهر ولا الثاني وأريد أن تسلفاني في أول الشهر مائة وخمســـين ألـــف درهم، وترجعأنها من مال الأهوز في مدة الشهر، فـــإن جهـــبذه الأهـــوز الـــيكما فـــيكون هذا المال سلفاً لكما واقفاً ابداً"(التنوخي، 1971،ص41).

واســـتمر هـــذا الإجـــراء لمدة ستة عشرة سنة، حيث استفادت الدولة من الاعـــتماد علـــى هـــذا المصـــرف في الاقتراض من التجار لفك الأزمة المالية للدولة(الدوري، 1974). ويتضح من ذلك الدور الفعال الذي لعبته الدولة في تطور الجهبذه.

الإصلاحات الإدارية

باشـــر الوزيـــر علي بن عيسى بعد تقلده منصب الوزارة، إصلاح الفساد الإداري، وإعادة تنظيم أمور الوزارة، فبعث كتاباً إلى العمال في الأقاليم المختلفة يعـــرفهم أنـــه تقلد الوزارة، وأنه يقرهم على أعمالهم، ويأمرهم بالجد والاجتهاد، مـــتوعداً بعـــزل أي عـــامل لـــم يثبـــت كفاءتـــه فـــي إدارة عمله أو ثبت ظلمه للرعـــية(مجهول، 1972؛ Bowen,1928). ثم قلد الدواوين جماعة وعزل جماعة،

فقـد قلـد ديوان السّواد عبيدالله الكلذواني، وجعل على ديوان المشرق الفضل بن جعفـر بـن الفرات، وديوان الجيش عثمان بن سعيد الصيرفي، وديوان النفقات إبراهيم بن خفيف، وديوان الجهبذة لإبراهيم بن أيواب النصراني، وديوان المغرب أبـي بكر محمد بن جني، وديوان الضياع الخاصة والمستحدثة أبا علي بن مقلة، وديـوان الفراتية محمد بن الحسين الماذرائي، وديوان زمام الخراج أبا محمد بن روح، وديوان زمام النفقات والخزائن أبا القاسم بن النفاط، وديوان الدار أبا جعفر القمـي وجعـل ديوان البر وديوان الصدقات عبدالوهاب بن الحسن، وجعل على ديـوان زمـام الجيش محمد بن احمد قلنسوة، وعلى ديوان بيت المال سليمان بن الحسـن بـن مخلد، كما جعل على ديوان الضياع المصادر، من أبن الفرات أبا زبنور.(عريب، 1964؛ مسكويه (د.ت))

لقـد كـان هدف الوزير علي بن عيسى من ذلك تطهير الإدارة من عمال السوء، وضبط الدواوين، والاعتماد في إدارة شؤون الدولة الإدارية والمالية على عناصـر مؤهلـة لإدارة هـذه الأعمـال، جلهم من الكتاب القديرين، وأصحاب الكفـاءات مـن الأقـارب والأصدقاء، ولم يكن تغيير رؤساء الدواوين في عهد الوزير علي بن عيسى من باب التنكيل بل من باب الإصلاح.(الدوري، 1945)

كـان الوزيـر علي بن عيسى يستبدل الكتاب والموظفين بآخرين في حالة تقصـيرهم أو ظهـور بوادر خيانة، ومن ذلك استبدال الكاتب أبن النفاط المتولي لزمام النفقات بأحمد بن محمد أبن المعلي به.(الصابي، 1958)

كان ديوان السّواد من أهم الدواوين في الدولة، وذلك لإشرافه على خراج السّـواد فـي العراق، والذي يعتبر المصدر الرئيسي لنفقات دار الخلافة، إذ أهتم علي بن عيسى بديوان السّواد، وجعل النظر إلى عبيد الله الكلوذاني وقال له:"هذا أجـلُ الدواوين ومتى تشاغلت بخلافتي إختل وليس يقوم به أحد كقيامك".(مسكويه، د.ت، ص151)

لقـد طرأت ظروف إدارية ومالية، تولد عنها استحدث دواوين مالية جديده كـان لها دور مهم في تنظيم دارة الدولة وماليتها، ويعتبر استحداث هذه الدواوين من جملة الإصلاحيات الإدارية التي قام بها الوزير، وهذه الدواوين هي:

ديوان البر

أتصــف الوزير علي بن عيسى الجّراح بحبه لأعمال الخير، إذ كان ينفق معظم ماله في وجوه الخير، لذا فقد أشار على الخليفة المقتدر بالله

"بوقــف المســتغلات لمدنية السلام وغلتها نحو ثلاثة عشرة ألف ديــنار، والضــياع الموروثة بالسواد الجارية في ديوان الخاصة، وارتفاعهــا نيف وثمانون ألف دينار على الحرمين والثغور، فقبل رأيه وأشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه".(التنوخي، 1971، ص 205؛ الصـــــــابي،1958،ص310؛ســــــــرور،1965،ص124؛ Sourdel,1959,P402 ؛ Bowen,1928,P128).

ويؤكد أبن الطقطقي ذلك بقوله:

"أن علــي بــن عيسى لما ولىّ الوزارة فشت صدقاته ومبراته، ووقــف وقوفاً كثيراً من ضياع السلطان وأفرد ديواناً سمّاه ديوان الــبر، جعــل حاصــله لإصلاح الثغور وللحرمين الشريفين".(أبن الطقطقا، 1966،ص268).

ويعتبر هذا الوقف بمثابة الوقف الرسمي الصادر من إدارة الدولة العباسية، وكانــت مهمــة ديــوان البر يتولى الإشراف على توزيع واردات تلك الأملاك، والصــرف علــى الأراضــي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعلى الثغور في حدود الدولة البيزنطية.(السامرائي،1971)

وكان يتولى ديوان الصدقات وديوان البر في بعض الأحيان شخص واحد مع انفصال كل من هذين الديوانين عن الآخر في عمله، فقد ذكر مسكويـــــة سنة (315هـــ/927م). أن الوزيــر علــي بن عيسى قلد أبا احمد عبد الوهاب بن الحسن ديوان البر وديوان الصدقات.(مسكويه،(د.ت)؛ سرور،1965)

ديوان المقبوضات

وهــو ديــوان قام بإنشائه علي بن عيسى أثناء عمله نائباً للوزير حامد بن العباس (306311هـــ/ 918 923م). على الدواوين والأعمال(مسكويه، (د.ت)؛ أبن الاثير، 1979؛ النويري، 1985). فقد أنشئ من أجل استلام وإدارة أملاك وضياع أم موسى

وأســبابها(مســكويه، (د.ت)؛ أبن الجوزي، 1992؛ الذهبي،1985). أما سبب مصادرة أملاك أم موسى أنها زوجت أبنة أخيها أبي بكر بن العباس من أبي العباس محمد بــن إســحاق بــن المتوكل على الله(أبن الجوزي، 1992؛ الذهبي، 1985). فأتهمها أعداؤهــا بالعمل على تنحية الخليفة المقتدر عن الخلافة، وقد أنفقت بسخاء على ذلك الزواج وقدمت دعوات للصغير والكبير من أهل المملكة، فعمل الخليفة على نكبــتها ومصادرتها، واستخرجت منها أموال كثيرة، وجواهر نفيسة ومن الكسوة والطيــب والفــرش مــا يعظــم مقــداره، حتى بلغ مجموع ما أخذ منها مليون دينار.(مسكويه، (د.ت)؛ أبن الجوزي،1992؛ أبن الاثير، 1971)،وقد أوكل الوزير أمر الإشــراف علــى هذا الديوان لأبي شجاع الكاتب نظراً لكفاءته وخبرته(مســكويه، (د.ت)).

الإصلاحات في مجال الخدمات العامة

لم تقتصر إصلاحات الوزير علي بن عيسى على المجال الاقتصادي فقط، بــل شملت جميع جوانب الحياة العامة، وذلك لإيمأنه أن الإصلاح يجب أن يكون شــاملاً، وأن أثر هذه الإصلاحات يجب أن ينعكس على مستوى الخدمات العامة المقدمة للرعية.

فقــد أهتم بالنواحي الصحية، ففي سنة (302هـ/914م). قام بإنشاء بيمارستان بالحربــية فــي بغــداد، وأنفق عليه من ماله الخاص، وكلف أبا عثمان سعيد بن يعقــوب الدمشقي بالإشراف عليه(أبن الجوزي، 1992؛ الذهبي، 1985). ولعل الذي دفــع الوزيــر علي بن عيسى إنشاء البيمارستان هو انتشار الأمراض في السنة السابق لإنشائه في بغداد.(أبن كثير، 1993،ص120؛ Bowen,1928).

وفي مجال الرعاية الصحية كلف الوزير علي بن عيسى الطبيب سنان بن ثابــت بعمــل برامج لزيارة المسجونين ومعالجة المرض منهم، فوجه كتاب إلى الطبيب سنان بن ثابت جاء فيه :

"فكرت مدّ الله في عمرك في أمر من في الحبوس وأنه لا
يخلو من كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض

لقد كان الهدف من إصلاحات الوزير علي بن عيسى هو تحسين المستوى العـام لمعيشـة الرعية، وتقديم أفضل الخدمات، والتخفيف من معاناة الناس قدر الإمكان، وخصوصاً الطبقات الفقيرة، والتي حرمت من أبسط مقومات الحياة.

الفصل الخامس

مواقفة السياسية

مواقفه السياسية

لــم يكن الوزير علي بن عيسى رجل أقتصاد وأصلاح فقط، بل كان أيضا رجــل سياسة من الطراز الأول، يؤثر بالأحداث وتؤثر به، ولقد أظهرت مواقفه مــن الأحــداث السياسية في عهده ما يتمتع به من راجحة عقل وحنكة سياسية وقــدرة على التصرف مع الأحداث الصعبة، بهدف الحفاظ على المصلحة العامة، وسنوضح مواقفه كالتالي :

موقفه من الحركة القرمطية

ظهــرت خــلال الــتاريخ الأسلامي العديد من الحركات الأسماعيلية،وقد عملــت هــذه الحركات الباطنية المنتشرة على أثارة القلاقل والأضطرابات وبث الأفكــار الباطلة والدعوات المنحرفة، واتخذت اساليب شتى ووسائل مختلفة لهدم الأسلام، ومن أهم هذه الحركات التي انبثقت عن الأسماعيلية الحركة القرمطية.

"فالقرامطة، فرع من فروع الأسماعيلية، ينتسبون إلى شخص يقال لــه حمدان بن الأشعث، لقب بقرمط لقصر كان فيه، إذ كان قصير القامــة ورجلاه قصيرتان بشكل ملفت للأنتباه فكان خطوه قصيراً، الأمــر الــذي جعلــه ناقما على المجتمع، يبدي التأفف والتضجر ويحقــد على الناس جميعا، ويظهر التذمر من كل المجتمعات التي تحــيط بــه، أو التــي ينــتقل إلــيها ويفجــر الغضب على كــل المجتمع".(شاكر، القرامطة، 1979، ص5).

تمكــن القرامطة من أنشاء عدد من الكيانات في مناطق مختلفة من الدولة الأسلامية، والتي قامت بالتمرد ولفترة زمنية محدودة على الخلافة العباسية، نتيجة

التنظيم السري لهذه الحركة وضعف الدولة العباسية، وانشغالها بمشاكلها الداخلية، وكان أهم هذه الكيانات قرامطة البحرين.

ولسـت هنا في صدد الحديث عن الحركة القرمطية، من حيث عقيدتها أو مبادئها أو تنظيمها السري ولكن عن علاقة الوزير علي بن عيسى بن الجراح معهم سلماً وحرباً، خصوصا قرامطة البحرين، لأنه الكيان الذي استطاع خلال هذه الفترة ان يقض مضجع الخلافة العباسية قرابة قرن من الزمن.

بدأت علاقة الوزير بالقرامطة منذ توليه منصب الوزارة للمرة الأولى (301 هـ 911م). إذ شـاوره الخليفة المقتدر بالله بأمراء القرامطة، فأشار الوزير بمكانتهم وفـتح باب الحوار والمفاوضات معهم، فكتب كتابا طولا إلى أبي سعيد الحسن بن بهرام؛ يذكرهم بالله ويدعوهم إلى السمع والطاعة(مسكويه، (د.ت). ص34؛ دي خويه، 1978، ص66) وقال في أخره:

> " ان أمير المؤمنين جعل هذا ظهيراً عليك وحجة من الله يبينه فيك وقاطعـا لعلـك وبابا يعصمك أن صدقت عما أراده من الخير بك وعظمت التضحية فيما بذله من العهد لك"، وذكر أبن الجوزي أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح حث القرامطة في كتابه " على طاعـة الخلفاء ويعاتبه على ترك الطاعة، ويوبخه على ما يحكى عـن أصـحابه من اعلان الكفر، وأنكارهم من يسبح الله عزوجل ويقدسـه وأطراحهم الصلوات والزكوات واستهزائهم بأهل الدين واسـترقاقهم الأحرار ثم تواعده بالحرب إن لم يطع".(أبن الجوزي، 1992،ص142)

لعـل الوزيـر علـي بـن عيسى أراد من مراسلة القرامطة اعطاءهم فرصة للـرجوع إلـى الحـق، وتقديم الولاء والطاعة للخلافة العباسية دون الحاجة إلى أرسـال الحمـلات العسكرية المكلفة الدولة، حيث تعاني من نقص الأموال والتي تـتعارض مع برامجه الأصلاحية القائمة على أساس التوفير بالنفقات قدر الأمكان لسد العجز الحاصل بالميزانية العامة للدولة.

وذكــر ثابت بن سنان أن الوزير علي بن عيسى أرسل كتابا إلى أبا سعيد الجنابـــي جــاء فيه: " زعمت أنك رسول المهدي، وقد قتلت العلويين وسببت آل الأخيضـــر العلويين واسترققت العلويات، وغدرت بأهل البحرين" (ثابت بن سنان، 1987، ص300)

ولما وصل الرسل إلى البصرة علموا بمقتل أبي سعيد الجنابي فتوقفوا عن المســير وكاتــبوا الوزيــر علي بن عيسى بذلك، فعاد الجواب إليهم بالمسير إلى أولاده ومــن قــام بعده مقامه، فحملوا الكتاب إلى الله ابي طاهر سليمان الجنابي الذي استقبلهم بحفاوة وأشاد بعدل الوزير علي بن عيسى.(الطبري، 1967)

أجاب أبو طاهر سليمان الجنابي على كتاب الوزير علي بن عيسى بكتاب مظهــراً طاعــته وموضــحاً الأسباب التي دفعتهم إلى فعل ما فعلوه، وجاء في الكتاب:

"أنــنا لم نخرج من الطاعة ولكنا كنا قوماً مستورين، فنقم علينا ذلك فجــار من الناس لا دين لهم فشنعو علينا وقذفونا بالكبائر ثم خرجوا إلى سبنا وضربنا، ثم نادوا قد أجلناكم ثلاثة أيام فمن أقام بعدها أحل بنفســه العقوبة فخرجنا فوثبوا علينا قبل الأجل وضربونا وأغرمونا الأمــوال فســألناهم أن يؤمنونا على أنفسنا فلم يفعلوا، وأمر صاحب البلد بقتلنا فهربنا فأخذوا حرمنا وسلبوهم سلباً قبيحاً، وانتهبوا منازلنا فلجأنا إلى البادية فخرج ناس إلى المعتضد بالله فشنعوا علينا، فصدق مقالــتهم، وبعث إلينا من يخاصمنا، فدافعنا عن انفسنا فقويت وحشتنا مــن الخلق، وأما ما دعى علينا من ترك الصلاة وغيرها، فلا يجوز قــبول دعوى إلا ببينة،وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله تعالى فكــيف يسألنا أن ندخل في طاعته.(أبن الجوزي، 1992،ص13؛ الذهبي، 1985،ص11).

وذكر ثابت بن سنان ان أبا طاهر سليمان الجنابي أجاب على كتاب الوزير يقول له :

" أن اهــل البحريــن بغوا علينا، وغدروا بنا ورمونا وقالوا : إن نشــترك فــي أزواجــنا، ونرى الأباحة،ونعطل الشريعة،وقد كذبوا علينا، ونحن قوم مسلمون، وما نحل من اتهمنا بغير الأسلام" (ثابــت بن سنان ، 1987، ص30).

ويضــيف أبــن الجــوزي بأنــه لما وصل كتاب القرامطة إلى الوزير موضـــحاً فيه ما هم عليه من الأعتقاد، فكتب الوزير يعدهم بالأحسان(أبن الجوزي، 1992). وطلــب مــنهم مطالب منها:" ان كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين"(ثابت بن سنان ، 1987، ص30).

ويؤكــد أبــن ســنان أنهم أطلقوا ثلاثين ألفا، وأظهروا الأسلام والصلاة وقراءة القرآن وخجلوا من الفضيحة. (ثابت بن سنان ، 1987، ص38).

وقد وجد جواسيس للقرامطة في بغداد يمدوونهم بالأخبار ومن ذلك:

"خبر ولاية أبن الفرات والقبض على حامد وعلي بن عيسى بن الجــراح، وقد وصل إلى الجنابي وأصحابه من وقته من قبل من كان يكاتبهم أن بعض البصريين الثقات حكوا أن القرامطة كانوا يقولــون لهــم يــوم دخولهم – البصرة – "ويلكم ما أراك –أي ضعيف العقل سليطنيكم في إبعاد ذلك الشيخ عن نفسه وليعلمن مــا يلقــى بعــده، قالوا : ونحن لا ندري ما يقولون حتى وردنا الخــبر بعد ذلك بالقبض على حامد وعلي بن عيسى بن الجراح وولاية أبن الفرات، فعلمنا ما أرادت القرامطة، وان الخبر أتاهم مــن وقــته على جناح طائر على أراكن الناس، واعتقدوا الناس صحته" (عريب ، 1964، ص97).

وفــي ذلك دلالة واضحة على ما كان يحظى من علي بن عيى من احترام وتقدير حتى لدى الخارجين على الدولة لعدله ونزاهته.

اســتطاع الوزيــر بمــا انــتهج مــن سياسة مع القرامطة اتصفت بالمرونة والمعاونة، ومن ان يمنع تعرضهم لقوافل الحجاج وأعتدائتهم المتكررة على المدن والقرى، خلال المدة (301 هــ/ 913م إلى 311هــ/924م).

وقد ذكر بعض المؤرخين ان سبب مكاتبة الوزير للقرامطة أنه خاف منهم على الحجاج وغيرهم، فأراد أن يشغلهم بالمكاتبة والمراسلة والدخول في الطاعة محـــاولاً استرضاءهم بعض التنازلات، فهادنهم وأطلق لهم التسوق بسيراف، لعله كـــان يـــدرك أن الخلافـــة ستقف عاجزة إذا ما تعرض القرامطة للحجاج بسبب مشاكلها الداخلية في النزاع ببين الوزراء والقادة الأتراك، فاستطاع بذلك أن يأمن جانبهم مدة من الوقت كي يتسنى خلالها للسلطة العباسية الأستعداد لمواجهتهم، إلا أن بعـــض الناس اتهموا الوزير بمواطأتهم وموالاتهم ولكنهم لما علموا أخبار ما يفعلـــه القرامطة بالناس من سبي وقتل – بعد عزل الوزير– أدركوا أن الذي فعله علـــي بن عيسى بن الجراح كان صواب(عريـــب ، 1964، ص57)و يدافع عريب عـــنه نافياً مثل هذه التهم بقوله: " وكان الرجل –أي علي بن عيسى بن الجراح – أرجح عقلاً وأحسن مذهباً من الدخول فيما نسب إليه" (عريب ، 1964، ص57)

وعقب فاروق عمر على سبب انتقاد المجتمع لأسلوب علي بن عيسى بن الجراح بقوله :

" ولذلـــك فنحـــن لا نستطيع ان ندرك لماذا انتقد أسلوب علي بن عيســـى بـــن الجراح في التفاوض مع القرامطة، وذلك لأن أراءهم الدينـــية والعقائديـــة – كمـــا صـــورها المؤرخون وكتاب الفرق المعاصـــرين – كانـــت غـــير مقبولة لدى المجتمع الأسلامي أنذاك ناهـــيك عـــن هجماتهم على القرى والمدن والقوافل ونهبهم وسلبهم الأموال "(فوزي، 1985، ص274)

وذكـــر جماعـــة مـــن القـــرامطة الذين طلبوا الأمان من السلطة العباسية وأرســـلوا إلى بغداد، إذ زعموا ان علي بن عيسى بن الجراح كاتبهم بالمسير إلى البصـــرة وأنـــه وجه إليهم عدة أوقات بهدايا وسلاح "(مســـكويه، (د.ت). ص109). ويـــبدو أن الوزيـــر أبن الفرات هو من دبر هذه المكيدة للأيقاع به، وإبعاده عن حاضرة الخلافة ليتسنى له تحقيق أغراضه الشخصية.

وفـــي سنة (311هـ/922م). تولى أبن الفرات الوزارة للمرة الثالثة بعد عزل الوزيـــر حـــامد بن العباس ومشرفه علي بن عيسى بن الجراح، هاجم أبو طاهر

سليمان الجنابي البصرة، فهاجمها ليلاً في ألفين سبعماءة رجل، ووضع السيف في أهلهـــا، وأوحشـــوا في القتل. وغرق كثير في الماء، وأقام بها سبعة عشر يوماً، وحمـــل ما قدر عليه من الأموال والأمتعة والمساء والصبيان والأولاد وعاد إلى هجر.(عريب ، 1964؛ أبن الاثير،1979).

وفـــي ســـنة (312هـــ/924م). أعترض أبو طاهر سليمان قافلة الحجاج بعد رجوعهـــم مـــن مكة، فأغمد السيف بهم، ونهب اموالهم وسبى النساء والصبيان، ومـــن هرب من الحجاج هلك في الصحراء من قلة الماء والزاد.(عريب ، 1964؛ أبـــن الاثـــير،1979)تولى أبو العباس الخصيبي الوزارة سنة (313هـ/925م). فاقترح علـــى الخليفة المقتدر استدعاء يوسف بن أبي الساج – أمير أذريبجان والجبل – لمحاربة القرامطة ومهاجمة الأسد في عرينه نظراً لتكامل جيشه عدداً وعدة، غير أنـــه لـــم يتحرك بجيشه إلا بداية سنة (315هـ /927م). وبينما كان أبو الساج يجمع جيشه عزل الخصيبي عن الوزارة وأعيد علي بن عيسى بن الجراح إليها، فشجب على الوزير المعزول الخصيبي استقدامه لأبن أبي الساج قائلاً :

" لـــم أحضرت يوسف بن أبي الساج، وسلمت إليه أعمال المشرق ســـوى أصبهان، وكيف يعتقد أنه يقدر هو وأصحابه وهم قد ألفوا الـــبلاد الباردة الكثيرة المياه، على سلوك البرية القفراء، والصبر على حر بلاد الأحساء والقطيف"(أبن الاثير،1979، ص165).

ثـــم بين للخليفة أنه لو كلف خمسة آلاف فارس من بني أسد بحماية طريق الحـــج، ويرسل خمسة ألاف آخرين من بني شيبان لمناوشة القرامطة القتال لكان أوفـــر على خزينة الدولة، إذ يحتاج للإنفاق على هؤلاء مقداره مليون دينار بدلاً من ثلاثة ملايين دينار كان سيدفعها إلى أبن أبي الساج (أبن الاثير، 1979).

ولمـــا وصل خبر هزيمة جيش أبن أبي الساج وأسر قائدة إلى الوزير علي بـــن عيســـى بن الجراح، بادر على الفورإلى الخليفة المقتدر وطلب منه الأموال للإنفاق على تجهيز الجيوش لحرب القرامطة قائلاً :

"إنمـــا جمـــع الخلفـــاء المتقدمون الأموال ليقمعوا بها أعداء الدين والخوارج، وليحفظوا بها الإسلام والمسلمين، ولم يلحق المسلمون مـــنذ قـــبض النبي عليه الصلاة السلام شيئ أعظم من هذا الأمر، لأن هـــذا الـــرجل كافـــر، وقد أوقع بالحجاج في سنة اثني عشرة وثلاثمائـــة، فجرى ما لم يعهد مثله، وقد تمكنت له هيبة في قلوب الأولياء والخاص والعام، وإنما جمع المتعضد والمكتفي في بيت مال الخاصة ما جمعوا المثل هذه الحوادث، والآن لم يبق في بيت مال الخاصة شيء، فاتق الله يأمر المؤمنين وتخاطب السيدة فأنها ديـــنة فاضلة، فإن كان عندها مال قد ذخرته لشدة تلحقها أو تلحق الدولـــة، فهـــذا وقـــت إخـــراجه، وإن تكن الأخرى فإخرج أنت وأصـــحابك إلى أقاصي خرسان فقد صدقتك ونصحتك، فاستجاب المقـــتدر لطلـــب وزيـــره وطلـــب من والدته الأموال، فأخرجت خمســـمائة ألـــف ديـــنار مـــن مالهـــا الخاص ليفقها في محاربة القرامطة"(مسكويه، (د.ت).ص180،الهمداني،1964، ص255).

ويـــبدو أنـــه كان لأبي طاهر القرمطي بعض الأنصار في جيش الخلافة يمدونه بالأخبار والحركات وأخبار دار الخلافة، فقد ذكرت بعض المصادر أنه:

"تنصـــح رجـــل مـــن التجار بأنه وقف على خبر رجل شيرازي يتخـــبر للقرمطـــي ويكاتبه، فأنفذ -أي علي بن عيسى بن الجراح معـــه جماعة فقبض عليه، وحمل إلى دار السلطان، وناظره علي بن عيسى بن الجراح، فقال: أنا صاحبي أبي طاهر، وما صاحبته إلا علمـــاً أنه على حق، وأنت وصاحبك ومن تبعك كفار مبطلون ولا بد لله في أرضه من حجة، وإمام عادل، وإمامنا المهدي فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر الصادق. وليس نحن مثل الرافضة الـــذي يدعـــون إلـــى غائـــب منتظر، فقال له علي بن عيسى بن الجـــراح: اصدقني عمن يكاتب القرمطي من أهل بغداد والكوفة، قـــال: ولم أصدقك عن قوم مؤمنين حتى أسلمهم إلى قوم كافرين

فيقتلونهم، لا أفعل أبدا، فأمر بصفعه وضربه بالمقارع وقيده وغله بغل ثقيلة وجعل في فمه سلسلة وسلمه إلى نازوك، وحبسه في المطبق، فمات بعد ثمانية أيام لأنه منع من أن يأكل ويشرب حتى مات".(ثابت بن سنان ، 1987، ص28).

ولما وصل خبر هزيمة أبن أبي الساج، دب الرعبة في قلوب العامة في بغداد، وفي نفس الوقت وصل كتاب عامل الكوفة إلى الوزير علي بن عيسى بن الجراح يخبره أن القرامطة تركوا الكوفة متوجهين إلى العاصمة، عندها بدأ الوزير بإتخاذ إجراءات فورية محاولاً الحد من خطر القرامطة وإيقاف زحفهم نحو بغداد والمدن الأخرى، فبادر بتجهيز خمسمائة سميرية في نهر الفرات فيها الغلمان الحجرية، لإعتراض القرامطة ومنعهم من عبور النهر، (أبن الاثير، 1979)

كما قام الوزير على الفور بتجهيز جيش جديد تحت قيادة مؤنس المظفر ونصر الحاجب وأبو الهيجاء بن حمدان، إلا أن الجيش القرمطي ظل بتقدم نحو بغداد دون وضع أي اعتبار لضخامة الجيش العباسي، (مسكويه، (د.ت)؛ أبن الاثير، ص1979).

ثم توجه القرامطة إلى الكوفة فأرسل المقتدر بالله جيشاً تحت قيادة نصر الحاجب، وهارون بن غريب، إلا أن هذا الجيش لم يصطدم بالقرامطة لعلة أصابت أحد قادته، وهو نصر الحاجب وأكتفى القرامطة بما حازوه من أموال، فقفلوا راجعين إلى هجر.(الهمداني، 1964)

ويستنتج مما سبق أن علاقة الوزير علي بن عيسى بن الجراح مع القرامطة مرت بمرحلتين، المرحلة الأولى: منذ وزارته الأولى سنة 301هـ/913م، وحتى سنة 311هـ/123م –عندما عزل علي بن عيسى بن الجراح عن الإشراف على وزارة حامد بن عباس وخلال هذه المرحلة قام علي بن عيسى بن الجراح بممارسة الدبلوماسية مع القرامطة على أمل أن يحافظ على السلام، لأنه كان ضرورياً لنجاح مخططاته وإصلاحاته المالية الإدارية بدلاً من أن تظل قوات الخلافة مشغولة في الحرب، إذ كانت الحرب هي أكثر الجهات التي تنفق عليها الخزينة، وقد نجحت هذه السياسة إلى حد كبير إذ توقف القرامطة من تهديد

الخلافة ومروا في حالة سكون شبه تام استمرت عشرت سنوات، وعلى الرغم أن هـذه السياسـة قد أثارت موجة من السخط الغاضب في بغداد لأنهم أساءوا فهم التصرف الذي قام به علي بن عيسى بن الجراح، ولكن مع نجاح سياسة علي بن عيسـى بـن الجراح لوحظ أن الشكوك التي أتهم بها ليس لها أساس من الصحة، ومع هذا فقد استغلت هذه الشكوك للعمل ضدة أكثر من مرة واستطاعت أن تحقق بعض النجاح.(فوزي، 1985)

أمـا المرحلة الثانية: فتبدأ من سنة (311هـ/923م). حتى سنة (317هـ/929م). وقـد اتسـمت هذه المرحلة بالمعارك العنيفة بين جيش الخلافة والقرامطة، تمكن خلالهـا القـرامطة مـن إلحـاق الهزائم المتكررة بجيش الخلافة. وبلغ الهجوم القرمطـي ذروتـه سنة (317هـ/923م). أي بعد عام من عزل علي بن عيسى بن الجـراح عـن وزارته الثانية –عندما هاجم أبو طاهر الجنابي مكة المكرمة يوم الـتروي فقـتل الحجاج في المسجد الحرام، ودخل الكعبة، وطرح جثثهم في بئر زمـزم، ودفـن آخرين في المسجد الحرام، واقتلع الحجر الأسود من مكأنه وباب البيت الحرام ونقلها إلى هجر.(عريب، 1964؛ مسكويه،(د.ت). أبن الاثير، 1979؛ أبن كثير، 1993؛ أبن الوردي، 1969، ص251، أبن خلدون 1992).

ويـبدو أن أبا طاهر الجنابي لم يعد يأبه يمن يتولى منصب الوزارة ما دام أن الدولة ضعيفة ولا تستطيع أن تحرك ساكنا للوقوف في وجهه.

موقفه من حركة يوسف بن أبي الساج

وفـي سـنة (304هـ/916م). استغل يوسف بن أبي الساج أمير اذربيجان وأرميـنة اضطراب الأوضاع السياسية وتغير الوزراء بسرعة، فأخذ يؤخر حمل المـال إلـى بغـداد(مسكويه، (د.ت)). وعندما ولى الخاقاني الوزارة، ثم علي بن عيسـى بعده، طمع فأخر أكثر المال الذي كان يبعثه، واجتمع له من ذلك ما قوى بـه وحملـه علـى أعلان العصيان على الدولة بعد أن بلغه بنكبة الوزير علي، وأدعى أبن أبي الساج أن الوزير علي بن عيسى هو الذي أرسل له عهد الري(أبن الاثـير، 1979؛ الـنويري،1985). فلما بلغ الخليفة المقتدر ذلك، وقوله أن علي بن

عيسى انفذ له العهد واللواء انكره واستعظمه، فسأل علي بن عيسى وكان محبوساً عـنده، فأنكـر علي بن عيسى ذلك وحلف أن ما ولاه ولا انقذ إليه لواء ولا عهد وقال:

"لا بد للواء والعهد أن ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قـواده وهؤلاء الخدم والقواد بين أيديكم سلوهم عن ذلك ولديوان الرسـائل كاتـب يـنفذه يكتـب العهود والولايات سلوه هل كتب شيء؟".(مسكويه، (د.ت). ص45؛ أبن الاثير، 1979، ص100).

كمـا أن علـي بـن عيس ذكر أنه أستأذن الخليفة بإرسال أبن أبي الساج لمحاربة المتمردين بناحية الري، وأن الخليفة أذن له بذلك، وتوقيع الخليفة موجود عنده وظهر كذب يوسف، وأرسلت كتب التهديد إلى يوسف كما بعث إليه الخليفة قائدة بمحاربته إلا أن يوسف هزمه.(الهمداني، 1964؛ النويري، 1985)

وبعـد حـروب عديدة جرت موقعة في ناحية اردبيل بين يوسف بن أبي السـاج وبين مؤنس المظفر، أسر فيها يوسف وأدخل في بغداد مشهراً على جمل ثم حبس بدار الخليفة عنده ريدان القهرمانة.(مسكويه، (د.ت)؛ الهمداني، 1964)

لقـد أدت الحـروب مع أبن أبي الساج إلى نقص الأموال، بسبب صرفها علـى محاربـته، وأتهم الوزير أبن الفرات بأنه كاتب أبن أبي الساج، وحثه على العصيان(لأبن الاثير، 1979). وقد أطلق المقتدر سراح أبن أبي الساج بعد أن شفع لـه مؤنس وخلع عليه، ثم عقد له على الري وقزوين، وقرر عليه خمسمائة ألف ديـنار محمولـة كـل سـنة إلـى بيـت المال سوى أرزاق للعسكر الذين بهذه البلاد(مسكويه، (د.ت)؛ أبن الاثير، 1979). وفي سنة (929/314م). قلده المقتدر نواحي المشرق، وأمره بالمسير إلى واسط لينفذه إلى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي، والذي دبر تقليد أبن أبي الساج نواحي المشرق هو الوزير أبي العباس الخصيبي، ليسـتلم أموالهـا فيكون مع مال ضمان أرمينيه واذربيجان مصروفة إلى قواده، وأرزاق لجنده يستعين بذلك على محاربة القرامطة.(مسكويه، (د.ت))

وأثـناء مسـير أبن أبي الساج إلى واسط، تلكأ في الخروج إلى القرمطي، ولم يتم خروجه إليه لشروطها وأموال طلبها، وكانت الأموال في غاية التعذر فلم

يجب إلى ما اشترطه وكان ذلك سبباً لتوقفه(عريب،1964). وقد اتهم الخصيبي بممالاة أبن أبي الساج وقيل له:

"لم احضرت يوسف بن أبي الساج وسلمت إليه أعمال المشرق سوى أصبهان، وكيف تعتقد أنه يقدر هو وأصحابه وهم قد ألفوا البلاد الباردة الكثيرة المياه على سلوك البرية القفار، والصبر على حر بلاد الأجساء والقطيف، وثم لم تجعل معه منفقاً يخرج المال على الأجناد؟ فقال: ظننت أنه يقدر على قتال القرامطة، وامتنع من أن يكون معه منفق"(أبن الاثير، 1979، ص165)

وكان علي بن عيسى يرى أن الأموال التي يطلبها يوسف باهظة جداً وتكلف بيت المال كثيراً، ويذكر عريب أن علي بن عيسى أشار على المقتدر بأن يلزم خمسة آلاف فارس من بني أسد طريق مكة بعيالاتهم، ويثبت لهم مال الموسم فأنه يكفيهم، ويترك أبن أبي الساج مكأنه، ويبعث لحرب القرمطي خمسة آلاف رجل من بني شيبان بأقل المال الذي كان ينفق عل أبن أبي الساج.(عريب، 1964)

بعد أن نزل أبن أبي الساج في واسط تذمر أهلها من أصحابه تذمراً شديداً فقد عاثوا في المدينة وكثر ضجيج الناس منهم والدعاء عليهم، وكان الناس يقولون :" من أراد محاربة عدوه عمل بالانصاف والعدل ولم يفتح أمره بالجور والظلم".(عريب، 1964، ص114)

استعد يوسف لحرب القرومطي وكتب إلى الوزير علي بن عيسى يلتمس منه حمل مال إليه، ليصرفه فيما يحتاج إليه من إعداد الأنزال والعلوفات بين واسط والكوفة، ويحتج بأنه أموال المشرق متأخرة عنه، وأن الأمر ليس يحتمل مع قرب موافاة القرمطي بأن ينتظروا ورود المال من الجبل، ويقول أنه لا يقنعه لذلك أقل من مائة ألف دينار، فعرض علي بن عيسى كتابه على المقتدر فأمر بأن يحمل من بيت مال الخاصة سبعون ألف دينار وينفذ إليه.(مسكويه، (د.ت))

وجاءت الأخبار بأن القرامطة تحركوا يريدون الكوفة فأمر المقتدر يوسف بالمبادرة إلى الكوفة، فتحرك يوسف من واسط إلى الكوفة وقد اعد له في الكوفة

المــؤن والأرزاق، إلا أن أبــا طاهــر القرمطي كان قد سبق أبن أبي الساج في الوصول اليها بيوم واحد، وكان قد نفد ما معه من المسيرة فاستولى على الأرزاق التـــي أعـــدت لأبـــن أبي الساج وكانت مائة كر دقيقاً وألف كر شعيراً فتقوى بها وكـــان قـــد لحقته وأصحاب شده (أبن الاثير، 1979). وابتدأت الحرب بين أبن أبي الســاج وأبو طاهر القرمطي سنة (315هـ/927م). وأسر أبن أبي الساج -كما سبق الإشـــارة إلـــى ذلـــك بعـــد أن أصيب في جبينه، وحاول الهرب فأمر أبو طاهر القرمطي بقتله (مسكويه،(د.ت). أبن الاثير،1979؛ النويري، 1985؛ الذهبي، 1985؛ أبن كثير، 1993)

موقفة من حركة الحسين بن حمدان

فـــي ســـنة (303هـ/ 913م). خرج الحسين بن حمدان على طاعة الخليفة في ديـــار ربيعة، بسبب مطالبة الوزير علي بن عيسى بن الجراح بأموال ولايته(أبن الاثـــير، 1979؛ أبـــن خلدون، 1992) الذي أرسل إليه يأمره بتسليم البلاد إلى عمال الســـلطان فامتنع، فندب الوزير علي بن عيسى القائد رائقا الكبير لمحاربته، لكون مؤنـــس المظفـــر كان مشغولاً بحرب عساكر المهدي صاحب أفريقية في مصر، فالـــتقى رائق مع الحسين بن حمدان فهزم(مسكويه، (د.ت)). فكتب الوزير علي بن عيسى إلى مؤنس المظفر بضرورة الإسراع نحو الحسين بن حمدان، ولما اقترب مؤنس من ديار ربيعة، أرسل أبن حمدان إليه كتاباً موضحاً فيه سبب خروجه عن طاعـــة الخلـــيفة، فقال فيه: "إن سبب خروجه عما كان عليه من الثقة والطاعة، عـــدول الوزيـــر أيـــده الله عما كان عليه في أمره إلى ما أوحشه وأنه لم يف به بضمانات ضمنها له.(مسكويه، (د.ت). ص36)

وأعلـــن الحســـين بن حمدان في كتابه اليه عن استعداده للتفاوض والتخلي عـــن عصـــيأنه والدخول في الطاعة، بشرط موافقة الوزير علي بن عيسى على توليـــته مـــنطقة حـــران، وتعيين أخيه بدلاً منه على ديار ربيعة، فأرسل مؤنس المظفـــر إلـــى الوزير بذلك(مسكويه، (د.ت)؛ أبن الاثير، 1979). فجاءه رد الوزير بقتال أبن حمدان، وعدم الرجوع إلى بغداد إلا بعد القضاء عليه، واستطاع مؤنس

المظفر أن يستميل عددا من قادة الحسين بن حمدان، فخلع عليهم وفرق الأموال فـــيهم، ثـــم سار مؤنس لملاقاة أبن حمدان فهزمه، ثم أسره ونهب أمواله، وأدخل بغداد مشهوراً على جمل، فأمر الخليفة المقتدر فوضعه في السجن.(عريب، 1964؛ الهمداني، 1964؛ أبن الاثير، 1979).

موقفه من البريديين

البريدي لقب لثلاثة أخوه أبو عبدالله احمد وأبو يوسف يعقوب وأبو الحسين علي(أبن الاثير، 1979). وكان كبير الأسرة أبو عبدالله البريدي، والبريدي نسبة إلى البريد لأن جدهم كان صاحب بريد البصرة (أبـــن خلدون، 1992). إذ اتصف تاريخ أبـــي عـــبدالله البريدي بالخديعة والمراوغة، وكان لا يتوانى عن القيام بقتل أعز الـــناس علـــيه في سبيل تحقيق مصلحته، فقتل أخاه أبا يوسف البريدي طمعا في المال (الصولي، 1979). وقال عنه مسكوية: "وكان أبو عبدالله البريدي أحد دجالي الدنيا وشياطينها"(مسكويه، (د.ت).ص158).

ولما تولى الوزير علي بن عيسى الوزارة للمرة الثانية سنة (314هـ /926م). قـــام بتقلـــيد الأعمال لعناصر ذات خبرة وكفاءة، في سبيل أصلاح الأدارة وأعاد تنظـــيم الـــوزارة، فقلد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس، وتقليد أبي طاهر محمد بن عبد الصمد أعمال المعاون بكرمان، وقلد القاسم بن دينار أعمال الخراج والضـــياع بفارس، وقلد أعمال الأهواز أبا الحسن أحمد بن محمد بن مابنداذ، فلما بلغ أبا عبدالله البريري ما تقلده هؤلاء من أعمال، أثار حفيظته وقال:

> " يقلد هؤلاء هذه الأعمال، ويقتصر باخي يوسف على سرق، وبي علـــى ضمان الضياع الخاصة ! خذ يا أبا هشام –حامل الكتاب – وأعطـــه أبنك حتى يمثل عليه ويتعلم منه الخط، فإن لطبلي صوتا سوف تسمعه بعد أيام".(مسكويه، (د.ت).ص158)

وأرسل أبو عبدالله البريدي أخاه أبا الحسين إلى بغداد، سنة (316 هـ/ 928م). لما بلغـــه اضطراب أمر الوزير علي بن عيسى، وأمره أن يخطب له عمل الأهواز، أذا تولـــى الوزارة شخص يقبل الرشوة، لعلمه بأمانه علي بن عيسى، فقال عنه: "أن علي بن عيسى يعف ولا يرتفق". (مسكويه، (د.ت).ص158)

فلما تولى الوزارة أبو علي بن مقله بعد عزل الوزير علي بن عيسى، قال: له أبو الحسين البريدي عشرين ألف دينار مقابل تقليد أخاه أبو عبدالله البريدي أعمال الأهواز.(أبن الاثير، 1979)

ولمـــا دخـــل البريدي بغداد سنة (329هـــ / 941 م). قام بالاستيلاء على أموال الناس، ونهب بيوتهم ومحلاتهم التجارية، مما أدى إلى انتشار المجاعة بين الناس فأشـــار جماعـــة من أصحاب علي بن عيسى بان يخرج هو وحرمه وأولاده من بغداد. خوفا عليه من بطش البريدي، فقال لهم :

" فكـــرت في ما أشرتم به، فوجدته خارج عن الرأي، ومفسد للديـــن، لأن الأمر مقدر، والأنسان مدبر، ولا يحب لمخلوق ان يهرب من مخلوق (ياقوت الحموي، 1993، ص1825).

فلما التقاه البريدي، قام باكرامه وخاطبه بما وفاه الجميل والبر فيه.

موقفه من قيام إمرة الأمراء:

تظافـــرت عـــدة عوامـــل أدت إلى ظهور منصب أمير الأمراء في عهد الخلـــيفة الراضي بالله، كان على راسها تدهور الحال الإقتصادية واشتداد الأزمة المالـــية فـــي عهده، نتيجة انفصال معظم ولايات الدولة العباسية بصورة كلية أو جزئـــية، وقطعها الأموال عن الخليفة (مسكويه، (د.ت)) بالإضافة إلى تدخل الجيش فـــي شـــؤون الدولـــة، وكـــثرة مطالبـــتهم بـــزيادة رواتـــبهم بمناســـبة وبدون مناسبة.(الصولي، 1979)

ولمواجهة هذه المشكلة، اضطر الخليفة الراضي بالله إلى مراسلة أبن رائق بواســـط وتقلـــيده أعمـــال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي، وفـــوّض إلـــيه تدبير المملكة، وأن يخطب له في جميع المنابر بذلك، ولقبه أمير الأمـــراء، مقـــابل تكفله بنفقات الدولة.(مسكويه، د.ت) وترتب على ظهور منصب أمير الأمراء أن أصبح منصب الوزارة شكلياً وأصبحت سلطة الوزير دون سلطة أمـــير الأمراء (الدوري،1988).بل أنها أصبحت بالأهمية دون كاتب أمير الأمراء، فقـــد رفـــض الكوفي كاتب أمير الأمراء أبن رائق قبول منصب الوزارة بعد ان

عرضـــت علـــيه(الصولي، 1979) وذلك لأن الكاتب يستمد قوته من أمير الأمراء القـــوي، امـــا الـــوزارة فهي ضعيفة لضعف الخلافة، ولم يبق للوزير إلا الأسم والحضـــور فـــي الاحـــتفالات الرســـمية ولـــم يعـــد يـــنظر في شي من أمور الدولة.(مسكويه، د.ت)

ولمـــا رأى الوزيـــر علـــي بن عيسى بن الجراح انتشار الفساد في جميع اجهـــزة الدولـــة ومـــنها الخلافـــة والوزارة في فترة إمرة الأمراء، وسقوط هيبة الوزارة، لذا رفض منصب الوزارة أكثر من مرة (الصولي، 1979)

وبالرغم من تكرار رفضه للوزارة، الا أنه لم يمكن الأستغناء عن خبراته الطويلة، وحنكته السياسية وخصوصاً في القضايا الحساسة في عهد أمرة الأمراء، ففي سنة (329هـ/940م). توفي الخليفة الراضي بالله ولم يعهد لأحد من بعده بولاية العهـــد، فأمـــر أمـــير الأمراء بجكم كاتبه ابا عبدالله الكوفي ان يجتمع مع وزير الراضي ورؤساء الكتاب والقضاة والفقهاء والهاشميين ووجوه البلد ليختارو خليفة جديـــد، فوقع اختيارهم على الخليفة المتقي، ثم أمر بحكم كاتبه أبا عبدالله الكوفي باستشاره الوزير علي بن الحسين بن الجراح بالخليفة الجديد،فاثنى عليه واشـــاد بـــه(مجهول، 1972؛ مسكويه، د.ت) وذلك لعلم بجكم ما يتمتع به الوزير من امانة وتقوى وحرصه الدائم على المصلحة العامة.

آراؤه حول العلاقات الخارجية وبخاصة مع الدولة البيزنطية

أصـــاب الوهـــن الدولة العباسية بسبب ضعف خلفائها، وسيطرة العناصر الاجنبية العسكرية على أجهزتها السياسية، وما رافقها من محاور وتكتلات داخل الـــبلاط والمؤسســـات الادارية، كل ذلك نقل الدولة من سياسة الهجوم إلى سياسة الدفـــاع وتجنـــب القيام بمغامرات عسكرية برية وبحرية طويلة الأمد لعدم قدرة الدولـــة علـــى ذلـــك مـــن جهة لأن الجندي أصبح في شغل شاغل عن المعركة بالحصـــول على الأرزاق وزيادة العطاء سنة بعد أخرى حتى لو كلفه ذلك التمرد علىالوزيـــر أو الخليفة، هذا بالأضافة إلى تكلفة الحملات العسكرة للخزينة أمولا طائلـــة في وقت كانت الخزينة خاوية، ما أن تتخلص من أزمة مالية حتى تقع في

أخــرى بســبب جشــع الــوزراء ورؤســاء الكــتاب والجــيش وترف البلاط وحريمه.(فوزي، 1977)

اطلــع البيزنطــيون علــى ضعف العباسيين العسكري والسياسي في عهد الخليفة المقتدر بالله، فطالب أمبراطورهم سكان الثغور بالخراج مهدداً إياهم: " إن فعلتهم ذلك طائعين وإلا قصدتكم فقد صح عندي ضعفكم".(مسكويه، (د.ت). ص46)

وفــي سنة (314هـ/946م). هاجم البيزنطيون مدينة ملطية، فدمروا سوارها، وقــتلوا وســبوا، وأقــاموا بهــا ســتة عشــر يومــاً، ففــر سكأنها إلى بغداد مستغثيين.(الهمداني، 1964؛ النويري، 1985؛ أبن كثير، 1993)

ولما رأي الوزير علي بن عيسى ضعف الخليفة وجيشه عن صد الهجمات البيزنطــية عــن حدود الدولة، أو القيام بعمل عسكري ضدها لوقف هجماتها، أو تخليص أسرى المسلمين لديها، قام ببذل كل جهد ممكن لتخليص أسرى المسلمين مــن أيديهــم ا بخاصة بعد أن بلغه سوء معاملتهم لهم وبعد تولي الوزير علي بن عيســى الــوزارة للمرة الثانية سنة (314316هـ/926928م). دخل عليه احد أصدقائه يوماً، فوجده مهموماً، فسأله عن سبب ذلك؟، فقال:

"كتب إلي عاملنا بالثغر بأن أسارى المسلمين كانوا في بلد الروم على حال رفاهة وصيانة إلى أن ولى ملك الروم أنفاً حدثان منهم، فعسفا وعاقباهم وأجاعهم وأعرياهم، وطالباهم بالتنصر، وأنهم في بــلاء وجهد، وهذا أمر لا حيلة فيه، ولا مقدرة على دفع ما أظل هؤلاء المساكين، ولو ساعدني الخليفة على انفاق الأموال وتجهيز الجيوش إلى هؤلاء الكفار لفعلت في ذلك غاية ما أوجبه الله علينا من بذل الوسع والإمكان" (الصابي، 1958، ص454).

فأشــار علــيه صاحبه بمكاتبة بطرك انطاكية وجاثليق بيت المقدس وقال للوزير علي بن عيسى:

"بانطاكــية عظيم للنصارى يدعي البطرك وببيت المثدس آخر يقال لها الجاثليق، وأمرهما بنفذ على ملك الروم، لأن أمورهم لا تتم إلا بهما، والطاعة لا تلزم جمهور رعيتهم إلا بقولهم، وربما

حـــرم الواحـــد مـــنهم فيحرم عندهم، والرجلان في ذمتنا وتحت سـلطاننا، فـيأمر الوزيـر بمكاتـبة عاملي البلدين بإحضارهما وإعلامهمـا مـا يجري على الأسارى في بلد الروم وأنه مما لم تجـربه عادة، وحتى لم يزل عنهم وتستأنف حسن المعاملة معهم طولـبا بجريرة ما يفعل هناك، وسلك في معاملة النصارى مثل ذلك، وننظر ما يكون الجواب".(أبن الجوزي، 1992،ص69)

فأرسـل الوزير علي بن عيسى كتاب إلى كل واحد منهما، يطلب التوسط بأسـرى المسلمين لدى أمبراطور البيزنطيين، واستجاب البطرك والجاثليق لطلب الوزيـر علـي بـن عيسـى، وأرسـلوا رسـولاً مع عامل ثغور المسلمين إلى القسطنطينية بكتاب إلى ملك الروم جاء فيه:

"بأنكمـا قـد فعلتما بأسارى المسلمين عندكما ما هو محرم عليكما ومخالف توصيه المسيح عليه السلام في أمثالهم، وأمره فيمن جرى مجـراهم، عـن هـذه الطريقة وعدلتما عنها إلى ما تقتضيه السنة المأثورة واحسنتما إلى من في أيديكما، وتركتماهم على أديأنهم، ولم تكـرهاهم علـى خـلاف آرائهـم، وإلا لعـناكما وتـبرأنا منكما وحرمناكما"(الصابي، 1958، ص355).

ولما وصل الكتاب إلى امبراطور القسطنطينية، أمر بوقف التعذيب لأسرى المسلمين، وإخراجهم من السجون، وتوفير الطعان والملبس لهم.

وبعد رجوع الأسرى إلى أوطأنهم وأهلهم سأل بعضهم عامل الثغور:

"كـيف عرفـت صورتنا؟ ومن تنبه على مراعاتنا حتى انفذك من أجلـنا؟ فقلـت: ولى الوزارة الوزير علي بن عيسى وبلغه خبركم، فأنفذ وفعل كذا وكذا، فضجوا بالدعاء له، وقالت امرأة منهم: قرّ يا علي بن عيسى، لا نسى الله لك هذا الفعل"(الصابي، 1958، ص356).

ولمـــا بلغ الوزير علي بن عيسى ذلك بكى بكاءاً شديداً، ثم سجد لله تعالى شاكراً وحامداً، فقال صاحبه لعلي بن عيسى:

"اســـمعك أيهـــا الوزيـــر تتـــبرم بـــالوزارة في خلوتك، وترقب بالانصـــراف عنها تحرجاً من أثامها، فلو كنت معتزلاً لها ومخلياً مـــنها، هـــل كنت تقدر على مثل هذه الحال الجامعة لجمال الدنيا وثواب الآخرة وطيب السمعة وحسن العاقبة".(أبن الجوزي، 1992، ص69)

وهاجمـــت جيوش الروم في سنة (331هـ/942م). ديار بكر وسبوا من أهلها جماعـــة كبـــيرة، وبلغـــوا قرب نصيبين، وطلبوا من أهل الرها أن يدفعوا إليهم المنديل الذي كان المسيح عليه السلام مسح به وجهه فيه، وذلك في مقابل إطلاق عـــدد مـــن أســـرى المسلمين، فكاتبوا الخليفة المتقي لله ببغداد بذلك، فاستحضر الوجوه من أهل المملكة لأخذ رأيهم، وقام جدال عظيم بينهم، فذكر البعض أن هذا المـــنديل منذ الدهر الطويل في عينة الرها، لم يلتمسه ملك من ملوك الروم، وأن فـــي دفعـــة إليهم غضاضة على الإسلام، لأن المسلمين أحق بمنديل عيسى عليه الســـلام وفـــيه صـــورته، فقال علي بن عيسى: "إن خلاص المسلمين من الأسر، وإخـــراجهم مـــن دار الكفـــر مـــع مـــا يقاســـونه مـــن الضنك والضر أوجب وأحق"(الانطاكي، 1990، ص41).

ووافقـــه جماعـــة ممن حضر على قوله، وذلك المعرفة الوزير علي بن عيســـى بعدم قدرة الخليفة ولا جيوشه على إطلاق الاسارى من ايديهم، ولم تزل هـــذه الهدنه مستمرة بين الروم وأهل الرها إلى إن نقضها سيف الدولة سنة (338 هـ/949م). عندما غزا الروم.(المسعودي، (د.ت)؛ أبن تغري بردي، 19

الفصل السادس

المحن التي تعرض لها الوزير علي بن عيسى

المحن التي تعرض لها

تعـــرض الوزير علي بن عيسى بن الجراح أثناء حياته العملية للعديد من المحـــن والنكبات، ليس بسبب خيانة ارتكبها، أو تقصير في عمله، أو تواطؤ مع أعـــداء الدولـــة، بـــل بسبب إصلاحاته التي لم تعجب وزراء عصره ولا حاشية الخلـــيفة، هذه الفئة التي ران على قلوبها الحسد والغش والخداع، فاصطدم بها في كثـــير مـــن الأوقـــات وخلال فترة عمله سواء بالدواوين أو الوزارة، ولكن هذه النكبات والمحن لم تثنه عن عزمه في مواصلة إصلاحاته لتحقيق الصالح العام.

بـــدأت النكـــبات تحل به على أثر حركة أبن المعتز الانقلابية الفاشله ضد الخلـــيفة المقـــتدر بـــالله سنة (296هـ/ 908م). وذلك بسبب قوله كلمة الحقّ بالخليفة المقـــتدر، والذي تولى الخلافة في سنّ الثالثة عشرة(الطبري، 1967؛ عريب،1964؛ الهمدانـــي، 1964). إذ كان رأيه أن يتولى الخلافة من يصلح للدنيا والدين(مسكويه، (د.ت)؛ أبـــن الاثـــير، 1979). وكان آنذاك أحد رؤساء الدواوين الأربعة في الدولة، فنفي إلى مدينة واسط وصودر على مبلغ ثلاثين ألف دينار(الصـــابي، 1958). بينما ذكـــر مسكوية أنه صودر مصادرة خفيفة قدّرت بخمسة آلاف دينار، ثم صودرتْ أمواله وأملاكه وضياعُه.(مسكويه، (د.ت))

ثـــم أمر الوزير أبو الحسن علي بن الفرات عامل واسط بإخراج علي بن عيســـى وإبعـــاده إلى مكة، نظراً لما يتمتع به علي بن عيسى من مكأنه بالدولة وخاصـــة مع مؤنس المظفّر قائد الجيش، وقوة شخصية واتساع شعبتيه.(الهمداني، 1964)

وأطلـــق له ابـــن الفـــرات عشرة آلاف درهم نفقة الطريق، وأعطى أجر الجمالين ونفقات الموكلين ثمانية آلاف درهم(الصابي، 1958). ولما وصل علي بن عيســـى إلـــى مكة، أرسل الوزير أبن الفرات كتاباً إلى عاملها، بأمره به بمراقبته

وإلزامه بيته ومنعه من الخروج، حتى أنّ فريضة الحجّ لم يؤدّها حتى ورد كتاب الخليفة سنة (299هـ/ 911م). له بالحج.(الصابي، 1958)

ولم يكتفِ أبن الفرات بنفيه إلى مكة،بل أمر عاملها بنفيه إلى اليمن، وذلك بعـد قـيامه بـالعديد من الأعمال الخيرية بمكة فذاع صيته بين الناس وازدادت شعبيته، مما أثار مخاوف ابن الفرات اتجاهه علي بن عيسى(الصابي، 1958).

ونتـيجة لفسـاد الإدارة وسـوء الأوضاع الاقتصادية في الدولة، وإفلاس الخزيـنة احتـيج إليه و إلى خبرته الطويلة لإصلاح الوضع المتردي في الدولة، فَبعـثوا فـي طلـبه لكـي يـتولىّ الـوزارة سنة (301هـ/ 913م)(عريب، 1964؛ مسـكويه،(د.ت)؛ الهمداني،1964). وفي سنة (304هـ/ 916م). أمر الخليفة المقتدر بالله باعتقال الوزير علي بن عيسى وحبسه، وذلك استجابة لضغوط الحاشية التي رأت فـي إصـلاحاته خطراً كبيراً على مصالحها، ولم يتعرض لأذى، ولم تتعرض أموالـه وضـياعه من المصادرة، وكذلك لم يتعرض اولادة للأذى أو المصادرة، وذلك لمعرفة الخليفة المقتدر بأمانته وعفته.(مسكويه،(د.ت))

لكـن منازل أخوته وحاشيته لم تَسْلم، إذ تعرّضت للنهب والسّلب، وصودر أخوتـه، فصـودر أخـو عبيد الله على مبلغ ستين ألف دينار، أمّا أخوه ابراهيم فصودر عل خمسين ألف دينار. الهمداني، 1964)

أمضـى الوزيـر علي بن عيسى سبعة عشر شهراً في السّجن، ثم احتّيج مجـدداً لخدماتـه وخـبراته للإشراف على الدواوين جميعاً في وزارة حامد بن العـباس سـنة (306هــ/ 918م). وأمـام عجز الوزير حامد بن العبّاس عن تسيير الأمـور، وسياسـة الوزير علي بن عيسى الإصلاحية القائمة على الاقتصاد في نفقـات البلاط ونتيجة لسعايات ودسائس أبن الفرات ضده، اضطر الخليفة المقتدر إلى عزلهما.(اليوزبكي، 1970؛ الكبيسي،1972)

ولما تولىّ الوزير علي بن الفرات الوزارة للمّرة الثالثة سنة (311هـ/ 923م). فرض المحسن بن علي بن الفرات على الوزير علي بن عيسى مبلغ ثلاثمائة ألف ديـنار، فأجابه بأنه لا يقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار(مسكويه، (د.ت)). وهي ثمن دار باعها، ثم تعّرضت داره ودور أخوته للنهب والتدمير.(الصابي، 1958)

استخدام المحسن أبن علي بن الفرات أشدّ أساليب القسوة والتعذيب لإجباره علـــى دفـــع مـــبلغ الثلاثمائة ألف دينار، والإقرار بما عنده من أموال، فاوقع به مكروهاً عظيماً، إذ قيّده بسلسلة زنتها عشرون رطلاً، وألبسة جبّة صوفٍ مدهونة بماء الأكارع(الصابي، 1958). حتى أنّ الحداد ضربه بالمطرقة، ليوثق القيد فأخطأ وأصاب كعبه، فقال علي بن عيسى:" يا هذا أيّ عداوةٍ "بيني وبينك حتى فعلت ما فعلت، فقال له:" كيف لا أعاديك وقد أسقطت من رزقي ديناراً"(الصابي، 1958)

وكرّر المحسن بن الفرات طلبه للوزير علي بن عيسى بدفع المال فأجابه:

" لو كنتُ أقدر على أداء المال لما قيّدت"(الصابي، 1958)ثم توسّط جماعة مـــن أصحاب علي بن عيسى لدى المحسن بن الفرات حتى ترفّق به وينزع عنه جبّة الصوف فقال المحسن:

" لا أفعـــلّ إلا أن يكتب الوزير علي بن عيسى بخطة لأداء ثلاثين ألف دينار في عشرين يوماً"، فقال علي بن عيسى:لا أكتبّ بما لا أفي به ولو قطعت يدي".(مسكويه، (د.ت).ص110)

استمّر المحسن في تعذيب الوزير علي بن عيسى بكل شدة وقسوة، إذ دعا المحســـن عشـــرة غلمان وأمرهم بصفع علي بن عيسى، فصفعه كل واحدٍ منهم صفعةَ عظيمةَ، فصاح في ثلاث أواه وقال في الباقي: " أستغفر الله من ذنب مكّن مثلك من مثلي"(مسكويه، (د.ت).ص11؛ الصابي، 1958،ص324).

ولمّا رأى نازوك صاحب الشرطة ما جرى لعلي بن عيسى قام من مجلس المحســـن، فقـــال المحسن:" إلى أين تقوم؟ فقال ما أحب أنْ أحضر مكروه رجل قبّلـــت يده عشر سنين، وله عندي من الأيادي والفضل، ومع ذاك فهو شيخُ متدين ويصوم الدّهر"(الصابي،1958، ص324).

ولمّـــا بلـــغ الوزير أبن الفرات، ما عامل به أبنه المحسن علي بن عيسى، قلق من ذلك قلقاً شديداً وقال لأبنه:

" كـــان يجـــب يا بنيّ أنْ تفعل ما فعلته، وتقبل ما أمرتُ به كلّه، وأنـــت حـــدث لم تجرب الأمور، ومغرور لم تتدرّب، وقد أفسدت

أمــر علــي بــن عيسى علينا ووالله لا سُلم بعد هذا إلينا"(مسكويه، (د.ت). ص110)

ومــن النصّ السابق يتضح أنّ الوزير أبن الفرات على علم بما يفعله أبنه المحســن مــع علي بن عيسى، وأنه راضٍ عنه ولكنْ ليس لهذا الحدّ من التعذيب فقوبــل عمــل المحســن بن الفرات لعلي بن عيسى بالرّفض والاستنكار من قبل الخلــيفة المقــتدر والحاشية، فقال الخليفة المقتدر لمّا سمع قول الوزير واستغفاره أثناء تعذيب المحسن له: " لاشكّ في أنّ علي بن عيسى خيرٌ عند الله من المحسن وقد وقع السّرف فيما عومل به وبلغ منه"(الصابي، 1958، 324).

فأمــر بــرفع التعذيب عن علي بن عيسى وإعادته إلى السّجــن(عريب، 1964). أمــا الســيدة والــدة المقتدر فقد استنكرت ما تعّرض له الوزير علي بن عيســى بــن على يد المحسن بن الفرات، وأنه ليس من أصول معاملة الوزراء، فقالت:

" إنمــا صُــنا أبــن الفرات ومنعنا أعداءه منه لمّا كان يصون الــوزراء ويعرف حقوقهم، واسسلأن فقد بسط هذا المجنون أبنه لما يخالف العادة ويورث القباحة والشناعة"(الصابي، 1958، 322)

ولــم يكتف محسن أبن الفرات بتعذيب الوزير، بل دبر له مكيدة للتخلص منه بقتله، غير أن معارضة والده حالت دون ذلك خوفاً من أن يتهم به وخوفاً من ثورة العامة واقاربه عليه(التنوخــي، 1971). لكنه قام بنفيه إلى مكة، وكلف جماعة من أصحابه بدس السم له، وأذا فشلوا عمدوا إلى قتله بعد وصوله إلى مكة، فعلم علــي ابــن عيســى بــن الجراح بذلك، فتحرز في مأكله ومشربه، وحرص كل الحــرص مــن أن يــنال منه أحد (عريب، 1964) ثم أمر أبن الفرات والى مكة بإبعــاده إلى صنعاء ليبقى بعيداً عن بغداد(مسكويه، (د.ت)؛ أبن الاثير، 1979). وقد هجاه الشاعر أبو ميمون سالم بن عبد الله لما خرج إلى مكة بقوله:

ســـــيرت الشمســـــة بالـــــنحس   فاطلعـــت ســـعداً علـــى الأنـــس
فــــابعد الله الـــــذي ســــيرت   فــي الأرض أقصــى مطلــع الشمس
مضــــى ذمــــيماً خاســـئاً خاســـراً   مصـــــاحباً بالــــتعس والــــنكس

لمـــا غـــدا أهلـــوا فـــي مـــأتم
أصـــبحت الأمـــة فـــي عـــرس

فـــلا كـــلاه الله مـــن ذاهـــب
ولا رعـــاه الله مـــن جـــبس

اطلـــع فـــي أيامـــه كلهـــا
علـــى الـــبرايا كوكـــب الـــنمس

وضـــيق الدنـــيا علـــى أهلهـــا
كأنهـــا العـــالم فـــي حـــبس

يضـــيع الأمـــوال مـــن عجـــبه
ويـــنظر الســـاقط مـــن فلـــس

أهلكـــــــــــــــــه الله ولا رده
فهلكـــــه أطيـــــب للـــــنفس

مـــا يؤمـــن الشـــر ولا ينقضـــي
حـــتى يوالـــي الـــنذل فـــي رمـــس

وقال الشاعر شامتاً:

أيـــامكم يـــا بنـــي الجـــراح قد جرحت
كـــل القلـــوب ففـــيها مـــنكم نـــار

لامـــتع الله بالإقـــبال دولـــتكم
فـــأن أمـــثالكم للـــناس أدبـــار

واتفق أن دخل في بعض الأيام إلى دار السلطان أثناء وزارته الثانية، سنة (314هـ/ 926م). أن حذف في بعض الممرات برقعة وقعت في صدره، ولم يدر من رمـاه بهـا، فأخذهـا وقـرأها، فأذا فيها أبيات قد هُجي فيها، فقلبها وكتب على ظهرها:

لـــي مـــدة لابـــد ابلغهـــا
معلومـــة فـــإذا انقضـــت مـــت

لـــو ســـاورتني الأســـد ضـــارية
لغلبـــتها مـــا لـــم يجـــى الوقـــت

وعـــزل الوزيـــر علـــي بن عيسى عن الوزارة، في سنة (316هـــ/ 928م). ولمعرفته بما يحاك ضده من المكائد، استعد للسجن:

"فلبس خفاً وعمامة وطيلساناً وفي كمه مصحف ومقراض، وسأل هارون بن غريب أن يصون أهله وولده" (مسكويه، (د.ت). ص381).

وتم حبسه عند زيدان القهر مأنه، وقال بعد اعتقاله:

" الآن تم لي ديني، وتفرغت لصلاتي، واداء مفترضاتي، وقد كنت احب العزل وترك هذا الأمر، ولكني احتسبت قيامي به قيام المجاهد في سبيل الله"(الصابي، 1958، ص387)

لـــم يسلم الوزير علي بن عيسى بن الجراح من النكبات حتى وهو خارج العمل الرسمي، فقد حاول الوزير الحسين بن القاسم سنة (319هـ/ 931م). نفي علي بن عيسى، واخيه عبد الرحمن إلى مصر والشام، وذلك ليتخلص من أشراف علي بـــن عيسى الذي حضي به الوزراء من قبله، لكن معارضة مؤنس المظفر أفشلت مخططـــات الوزير الحسين بن القاسم، وقال عنه مؤنس:"هذا شيخ يرجع إلى رأيه ويعتضد به"(مسكويه، (د.ت).ص22)

ثم إخراج إلى مسقط رأسه دير قني.(عريب، 1964)

وبعد مغادرة مؤنس المظفر بغداد، أمر الوزير الحسين بن القاسم بإحضار علـــي بن عيسى من دير قني، وفرض عليه مصادرة مائتي الف دينار، بحجة أن الوزيـــر علـــي بن عيسى كان يتولى الأشراف على وزارتي أبن مقله والكلوذاني قـــبله، لكـــن تدخـــل صديق علي بن عيسى هارون بن غريب الخال حالت دون مصادرة علي بن عيسى بعد مخاطبة الخليفة في ذلك. (مسكوية، (د.ت))

وفـــي سنة (324هـ/ 935م). أثناء خلافة الراضي بالله نكب الوزير علي بن عيســـى واخوه عبد الرحمن، بعد عزل عبد الرحمن عن منصب الوزراء فقبض علـــيها، وصـــودر علـــي بن عيسى على مبلغ سبعين ألف دينار، أما اخوه عبد الرحمن فصودر على مبلغ ثلاثين ألف دينار.(أبن الاثير، 1979)

واســـتغلت فتـــنة القرامطة لتحقيق أغراض شخصية، فقد أصبحت الخيانة والـــتواطؤ معهـــم يتبادلها الوزراء المتنافسون على السلطة والنفوذ، فقد اتهم أبن الفـــرات الوزيـــر علـــي بن عيسى سنة (311هـــ/ 923م). بحضور القواد والقضاه والكتاب بالخيانة والتآمر مع القرامطة، بقيامه بأرسال مادة المساحي والطلق، بعد أن طلـــبها القـــرامطة منه، كما اوعز أبن الفرات إلى أبن ثوابه بكتابه كتاب على لسان علي بن عيسى بن الجراح لم يقل فيه:

" أنكم خارجون عن ملة الإسلام لمخالفتكم الإجماع وعصيانكم على الأمـــام، بـــل قـــال، ولكنكم خارجون عن ملة أهل الرشاد والسداد وداخلون مع أهل العناد والفساد"(الصابي، 1958،ص318).

فأجاب الوزير علي بن عيسى مدافعاً عن نفسه يقول:" إنما اعتمدت بذاك المصلحة، وأن استعيدهم إلى الطاعة بالرفق والاستمالة".(الصابي، 1958،ص318)

كذلــك اتهــم الوزيــر مــرة أخــري بالــتواطؤ مــع القــرامطة ســنة (316هـــ/ 928م). بعــد عزله عن الوزارة، إذا ادعى نصر الحاجب أنه وجد رجلاً يعــرف بالجواهري، اقر بأنه رسول للقرمطي وسفير بينه وبين علي بن عيسى، وحكــي عــنه أن علــي بن عيسى كان يكابت القرمطي على يده، فنفي علي بن عيسى التهمه المنسوبة إليه يقول:" كذب علي وبهتني وما خلق الله لما قاله اصلاً ولا فرعاً".(مسكويه، (د.ت).ص186)

وقــد نجح نصر الحاجب في إقناع الخليفة المقتدر بتواطئ علي بن عيسى مــع القــرامطة، حــتى همّ المقتدر بالله بإيقاع المكروه به على باب العامة وأمام الفقهاء والكتاب، لولا تدخل السيدة أم المقتدر، والتي توصلت إلى بطلان ما ادعى به عليه ، واخبرت أبنها المقتدر بذلك، فزال ما كان اعتقاده منه.(مســكويه، (د.ت). الصابي، 1958)

ومن خلال ما سبق يمكن الاستنتاج أن فتنة القرامطة استغلت للتخلص من رجــال الإصلاح بنسب تهمة الخيانة والتآمر على الدولة مع القرامطة وكان على رأس هــؤلاء المتهمين الوزير علي بن عيسى الذي أتهم أكثر من مره بالتآمر مع القــرامطة، للتخلص منه ومن إصلاحاته، التي لم تكن تروق للحاشية، لأنهم رأوا فــيها خطــراً كبيراً على مصالحهم، لكن الحقيقة سرعان ما تتكشف لتؤكد أن ما يتصف به الوزير علي بن عيسى من أخلاق يتنافى مع الخيانة.

وعلى الرغم من استغناء الخليفة المقتدر بالله عن خدمات الوزير علي بن عيسى في بعض الأحيان، نتيجة الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضده من قــبل الحاشــية والطامعين في منصب الوزارة، والمعارضين لإصلاحاته الا أن العلاقــة كانــت بين الخليفة المقتدر وبينه علاقة طيبة، فقد امتدحه ووصفه بأنه بمــنزلة والده المعتضد، فقال عنه: " أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله"(أبن الاثير، ص62)

وفـــي الوقـــت نفســـه كانت نظرة الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى الخليفة المقتدر مختلفة عن نظراء عصره فقد امتدح الخليفة بقوله:

" مـــا هـــو الا أن يترك هذا الرجل النبيذ خمسة أيام متتطابقه حتى يصـــح ذهنه، فأخاطب منه رجلاً ما خاطبت أفضل منه، ولا أبصر بالـــرأي، واعرف بالأمور، واسد في التدبير، ولو قلت أنه إذا ترك النبـــيذ هـــذه المـــرة فـــي إصالة الرأي/ وصحة العقل كالمعتضد والمأمون ومن أشبههما من الخلفاء".(التنوطي، نشوار المحاضرة، ج1، ص282)

وللدلالـــة علـــى المكانة التي حظي بها الوزير علي بن عيسى بن الجراح لدى الخليفة المقيدر، أنه مرض سنة (310هـ/ 922م).

" فركـــب لعيادته هارون بن المقتدر ومعه مؤنس ونصر القشوري ووجـــوه الغلمان، وفرشت له الطريق من الشط إلى المجلس، فتلقاه أبـــو الحسن متحاملاً، وأدى إليه رسالة المقتدر بالمسألة عن خبرة، وقـــيل أن المقتدر قد عزم على الركوب أليه، فانزعج لذلك، وسأل مؤنـــس أن يستعفي له منه، وكان قد صلح بعض الصلاح، فركب إلى الدار على ضعف شديد، وطلع ليفسخ بذلك ما وقع على العزم، ثم برأ.(أبن الجوزي، 1992، ص209)

وفـــي ذلك إشارة واضحة على العلاقة الطيبة بين الخليفة المقتدر والوزير علي بن عيسى.

الخاتمـــة

عاش الوزير علي بن عيسى بن الجراح في عصر اتصف بكثرة القلاقل والفتن والاضطرابات، نتيجة سيطرة القادة الأتراك على مؤسسة الخلافة، وتحكمهم في تعين الخلفاء وعزلهم، وثورات الجند المتكررة من حين لأخر مطالبين بأرزاقهم المتأخرة، وازدياد تدخل الحرم والحاشية في شؤون الدولة، أذ انتهى كل ذلك إلى قتل الخليفة المقتدر بالله سنة (320هـ/ 932م). وفرض الجند سيطرتهم الكلية بقيادة أمير الأمراء (324 334هـ/ 935 945م).

وفي هذه الفترة تمثلت فوضى الجند في التنافس بين القادة على منصب أمير الأمراء، وفي طمس الإدارة المدنية، وفي المشكلة المالية الخانقة، وفي انكماش ظل الخلافة، وانتهت الفترة في التدخل البويهي.

وبالنسبة للاوضاع الاقتصادية، فقد شهدت تدهوراً كبيراً خلال فترة الدراسة، فتكرر حدوث الأزمات المالية إلى حد عجزت عنه الدولة عن مواجهة نفقاتها، بسبب بذخ الخلفاء وإسرافهم، وانفصال معظم أقاليم الدولة عن السلطة المركزية في بغداد، وانقطاع واردها، بالإضافة إلى انتشار المجاعات وأزمات الغلاء، والتي تركت أثاراً سلبية على الحياة العامة.

نشأ الوزير علي بن عيسى في أسرة عريقة في العلم والأدب، تعود في أصولها إلى إحدى الأسر الفارسية القديمة، وقد تولى عدداً من أفراد الأسرة منصب الوزارة في الدولة العباسية، اذ أن التربية التي نشأ وتربى عليها علي بن عيسى جعلت منه شخصية إدارية فذة، تميز بين معاصريه من رجال الدولة العباسية بمواهب وقدرات في مجال الإدارة والاقتصاد والسياسة، وبالرغم من أن اصوله فارسية، الا أن ذلك لم يؤثر على مسيرة حياته فهو يختلف عن الشعوبيين الذين عادوا الاسلام والمسلمين، فتجرد من شعارأتهم الهدامة وعمل باخلاص ونزاهة للدولة العباسية.

ولم يسع الوزير في يوم من الايام لتولي منصب ما، سواء في مجال الكتابة، أو في مجال الوزارة، وانما كان الخلفاء هم الذين يكلفونه بالأعمال، بما

عرف عنه من قدرة وكفاءة دارة على إدارة شؤون الدولة، والقيام بالمهام على اكمل وجه، لذلك تقلد العديد من الوظائف الديوانيه والكتابية، والتي من خلالها وصل إلى منصب الوزارة أكثر من مرة، فاتضح الدور الذي لعبه بالدولة العباسية من خلال الوظائف التي تقلدها.

كما تمتع بعقلية إدارية واقتصادية فذة، اتضحت معالمها من خلال الاصلاحات الاقتصادية والإدارية التي طبقها في الدولة، لمحاولات اصلاح الوضع الاقتصادي المتردي، وتحسين ظروف المعيشة للرعية، فاستطاع بما اتخذه من إجراءات وبرامج اصلاحية من إعادة التوازن بين الدخل والمصروف لخزينة الدولة، وتحقيق فائق كبير من النفقات لصالح الخزينة، وتحسين أحوال المزارعين، وازدياد الانتاج الزراعي.

ولم يكن رجل اقتصاد واصلاح فقط، بل كان أيضا رجل سياسة من الطراز الأول، اتضح ذلك من خلال تعامله مع الاحداث السياسية، وحركات المعارضة للدولة في عصره، وخصوصاً الحركة القرمطية، التي قضت مضاجع الدولة العباسية قرابة قرن من الزمان، في سبيل إعادة هيبة الدولة، وفرض سلطتها على أراضيها.

ولم تعجب أعماله واصلاحاته كثير من رجال الدولة وخصوصا الوزراء والكتاب والحاشية، لذلك اصطدم بهم أكثر من مرة في خلال فترة عمله، وعملوا على التخلص منه ومن اصلاحاته للحفاظ على مصالحهم في الدولة، فتعرض للنفي والسجن والمصادرة، لكن ذلك لم يوقفه عن الاستمرار في مشوار حياته العملي، فقد توفي وهو يحظى بحب واحترام العامة، والعمل بما يرضي الله سبحأنه وتعالى.

ابــن البطريق (1909)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق،2جــ، مطبعة الاباء اليسوعين، بيروت.

البيرونـي، أبو الريحانـي محمد بن احمد (1923)، الآثــار الباقــية على القرون الخالية، تحقيق ادورد سخاو، (د.د.ن) لبزج.

تامــر،عارف (1994)، القرامطة بين الدين والثورة، (ط1)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

تسترشتين، ابن الجراح ،(د.ت)، دائرة المعارف الإسلامية.

تسترشتين ،(د.ت)، أمير الأمراء، دائرة المعارف الإسلامية.

ثابــت بــن ســنان (1987)، الجامع في أخبار القرامطة في الاحساء – الشام – العراق– اليمن، 2جــ، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق.

ابــن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين الاتابكي (1963)، النجوم الزاهرة في ملــوك مصــر والقاهــرة، 12ج، (د. ط) المؤسسة المصرية العانة للتأليف والترجمة، القاهرة.

التنوخــي، أبو علي المحسن بن علي (1971) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 7ج، تحقيــق عبــود الشالجــي، (د. ط).(د.د.ن)، (د.م.ن).

التنوخــــي، (1987) الفــرج بعد الشدة ،5جــ ، تحقيق عبود الشالجي ،(د.ط) دار صادر. بيروت.

التوحيدي، علي بن محمد (1985م)، الإمتاع والمؤانسة ، 2جــ، تحقيق زكي نجيب محمود، دار المعارف، تونس.

الثعالبــي، أبــو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (1990)، آداب الملوك ، تحقيق جليل عطية، ط1، دار الغــرب الإسلامي، بيروت.

الثعالبــي (1977)، تحفــة الوزراء، تحقيق علي حبيب الراوي وابتسام الصفــــار، (د.ط)، مطبعة العاني، بغداد . ا

الثعالبي (1994) ثمار القلوب، تحقيق إبراهيم صالح، ط1، دار البشائر، دمشق.

الجنابــي، خــالد جاسم (1989) ، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني 218-334ه/833-945م، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

ابـــن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (1992)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 18 جــــ، تحقــيق عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط 2، دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابـــن الجـــوزي، القـــرامطة،(1968)، تحقيق محمد الصباغ، ط2، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت .

الجهشـــياري، أبـــو عـــبد الله محمد بن عبدوس (1938) ، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفي السقا واخرون، ط1، مطبعة البابي الحلبي واولادة، القاهرة.

حاجـــي خلـــيفة، مصطفي عبدالله (د.ت)، كشف الضنون عن اسامي الكتب والفنون، 2 جــ، دار الفكر ، بيروت.

ابن حزم الأندلسي، أبي محمد علي بن سعيد (1991)، جمهرة انساب العرب، راجعها وضبط أعلامها لجنه من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

حسن،حسن إبراهيم (1964)، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، 4 جــ، ط7، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الحصـــــري، إبراهيم بن علي (1996)، زهر الآداب وثمر الألباب، 3جــ، تحقيق قاسم وهب، منشورات وزارت الثقافة، دمشق.

ابـــن حمـــدون، محمـــد بن الحسن (1996)، التذكرة الحمدونية، 9جــ، تحقيق احسان عباس وبكر عباس، ط1، دار صادر، بيروت.

الخطيـــب الـــبغدادي (1997)، أبـــو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (1992) ، تاريخ ابن خلدون المسمي العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن علي (1972)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 8جــ ،تحقيق احسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت.

الخوارزمي، أبي عبد الله محمد بن احمد (1993)، مفاتيح العلوم ،تحقيق نهى النجار، ط1 دار الفكر اللبناني، بيروت .

ابـــن دقماق، إبراهيم بن محمد (1985)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، 2جـــ تحقيق محمد كمال الدين علي، ط1، عالم الكتب، بيروت.

الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن احمد (د.ت)، طبقـــات المفسرين، 2جـــ، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الـــدوري، عبد العزيز(1974)، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الـــدوري (1945) دراســـات فـــي العصور العباسية المتاخرة، ط1، شركة الرابطة، بغداد.

الـــدوري (1988).النظم الإسلامية، الخلافة، الوزارة،النظم المالية،النظم الإدارية،بيت الحكمة، بغداد،.

الدوري، تقي الدين عارف (1975)، عصر امرة الأمراء في العراق 324-334هـــ/ 935-945م، دراسة سياسية اقتصادية، اجتماعية، ط2، مطبعة اسعد، بغداد.

دي خويـــة، مـــيكال يان (1987)، القرامطة، نشاتهم، دولتهم، وعلاقتهم بالفاطميين، ترجمة وتحقيق حسني زينه، ط1، دار ابن خلدون، بيروت.

الذهبـــي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد (1944)، دول الإسلام،2جـــ، ط2، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد- الهند .

الذهبي (1982) سير أعلام النبلاء، 25جـــ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط2،مؤسسة الرسالة ، بيروت.

الذهبي (1985) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط1،دار الكتاب العربي، بيروت.

الذهبـــي (1985) العـــبر فـــي خبر بن عنبر، 4جـــ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1 ، دار الكتب العالمية، بيروت.

الزركلي، خير الدين،الاعلام (1984)، 8جـــ، ط6، دار العلم للملاين،بيروت.

الزهراني (1986)، ضيف اللة، النفقات وادارتها في الدولـــة العباسية132-334هـــ/ 749-945م، ط1، مكتبة الطالب الجامعي،الزرقاء.

زيدان، جرجي (د،ت)، تاريخ التمدن الاسلامي، 2جـ،ط1،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

السامرائي، خليل ابراهيم (1988)، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي 132-656هـ /749-1258م،دار الكتب للطباعة والنشر،الموصل.

السامرئي، حسام الدين (1971)، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية247-334هـ/ 861-945م،دار الفكر، القاهرة.

سـرور،جمال الديـن (1965)، تـاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الىمنتصف القرن الخامس الهجري،دار الفكر، القاهرة.

السـيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (1996)، تاريخ الخلفاء، صححه محمود رياض الحلبي، ط1، دار المعرفة بيروت.

السيوطي (1967)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، 2جـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة.

الشابشـتي، أبـو الحسن علي بن محمد (1996)، الديارات، ط2، دار الرائد العربي، بيروت.

الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن (8 195)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار فراج، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

الصـابي (1964) رسـوم دار الخلافـة، تحقيق ميخائيل عواد(د.ط)، مطبعة العاني، بغداد.

الصـابي، محمد بن هلال (1967)، الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشتر، ط1، مجمع اللغة العربية، دمشق.

الصـفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (2000)،الوافي بالوفيات، 29جـ ،تحقيق احمد الارناؤوط، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (1979)، اخبار الراضي بالله والمتقي لله، عني بنشره هيورث د.ن، دار المسيرة، بيروت.

ضيف،شوقي (1973)،العصر العباسي الثاني،ط2،دار المعارف،مصر.

الطـبري، محمد بن جرير (1967)، تاريخ الرسل والملوك،10جـ،تحقيق محمد ابو القصل ابراهيم، (ط3)، دار المعارف،القاهرة.

ابـن الطقطقا، محمد بن علي طباطبا العلوي (1966)، الفخري في الآدب السلطانية والدول الإسلامية،(د.ط)، دار صادر بيروت.

عبد الفتاح، صفاء (1985)، نظام الحكم في الدولة العباسية،،دار الفكر،القاهرة.

ابـن العبري، ابو الفرج غريغورس الملطي (د.ت)، تاريخ مختصر الدول (د.ط) دار الميسرة، بيروت.

ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله (1994)، تاريخ مدينة دمشق، 79جـ، تحقيق محب الدين أبي سعيد العمروي، ط1، دار الفكر ، دمشق.

ابن عساكـر (1987) تهذيب تاريخ دمشق الكبير، 7جـ،تحقيق عبد القادر بدران، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

علـى، اسـماعيل احمـد (1992)، القـرامطة والحركة القرمطية في التاريخ، ط2،دار الينابيع،دمشق.

علي، محمد كرد (1934)،الادارة الاسلامية في عز العرب،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة.

ابـن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (د.ت)، شذرات الذهب قي اخبار من ذهب، 8 جـ، (د.ط) دار احياء التراث العربي، بيروت.

ابـن العمراني، محمد بن علي (1973)،الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي،(د.ط) ، العهد الهولندي للاثار المصرية والبحوث العربية ، القاهرة .

غالب،مصطفى (1982)، الحركات الباطنية في الاسلام، ط2، دار الاندلس، بيروت.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (1997)، المختصر في أخبار البشر، 4جـ، علق عليه ووضع حواشيه محمد ديوب ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت .

فوزي،فـاروق عمـر (1977)، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية،ط2،مكتبة المثنى،بغداد.

فوزي (1985)، التاريخ الإسلامي و فكر القرن العشرين ، ط2، دار اقرأ، بيروت.

فوزي ، فاروق عمر، (1998)، الخلافة العباسية، 2جـ، ط1، دارالشروق،عمان .

قدامــة بــن جعفــر (1981)، أبو الفرج الكاتب البغدادي، الخراج وصناعة الكتاب،شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي،،دار الرشيد، وزارة الثقافة، بغداد.

القرطبــي، عريــب بن سعد(1964) ،صلة تاريخ الطبري، تحقيق أبو القصــل إبراهيــم،(د.ط) ، دار المعارف القاهرة.

القضــاعي، ابــن عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر(1997)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق عبد الرحيم محمد عبد الحميد على، ط1،دار الينابيع للنشرالتوزيع، عمان.

القفطــي،جمال الديــن أبى الحسن على بن يوسف (1908)، اخبار العلماء باخبار الحكماء، صححة محمد امين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة.

القلقشــندي، احمد بن علي (1985)، مأثر الاناقة في معالم الخلافة، 3جـ،تحقيق عبد الستار احمد فراج، (د. ط) وزارة الاعلام، الكويت.

إبن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد (1970)، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، مطبق الحكومة، بغداد .

الكبيســي ،حمــدان عــبد المجيد (1974). عصر الخليفة المقتدر بالله، دراسة في أحوال العراق الداخلية،(د.ط)، مطبعة النعمان، النجف .

ابن كثير،ابو الفداء الحافظ بن اسماعيل بن عمر الدمشقي (1993)، البدايه والنهاية، 14جـ حقق اصولة مكتب التحقيق التراث، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين،15جـ،،دار احياء التراث العربي، بيروت،(د.ت).

المــاوردي، ابــو الحســن علي بن محمد بن حسين (1978)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت.

مــتز، ادم (د.ت)،الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، نقلة الى العربيةمحمد عبد الهادي ابو ريدة،دار الكتاب العربي، بيروت.

مجهــول (1972)، العــيون والحدائــق من اخبار الحقائق ، تحقيق عمر السعيدي ،، نشرة المعهد الفرنسي للدراسات العربية،دمشق.

المســعودي، علي بن الحسين (1938)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،4جـ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي. بيروت

المسعودي، (د.ت)، التنبية والأشراف، تحقيق عبدالله صادق، دار الصاوي، القاهرة.
مسكويه، احمد بن محمد، (د.ت) تجارب الامـــم وتعاقب الهمم، 2جـ، عنـاية هـ ف امـدروز،(د.ط)، دار الكتاب الاسلامي،القاهرة .
المقدســي، مطهــر بــن طاهــر (1916)، البدء والتاريخ، 6جـ، عني به كلمان هوار،، باريـس.
المقريزي احمد بن على (1991)، المقفى الكبير، 8جـ، تحقيق محمد اليعلاوي، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت.
المقريــزي (1956). السـلوك لمعـرفة دول الملـوك، 3جـ، تحقيق سعد عاشور ومحمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
ابن مماتي (1991)، ابو المكارم اسعد بن الخطير، قوانيين الدواوين، تحقيق عزيزعطية، ط 2، مطبعة مدبولي، القاهرة.
ابن منظور، محمد بن مكرم (1956)، لسان العرب، 15جـ، دار صادر،(د.ط) بيروت.
ابن منظور، (1984)، مختصر تاريخ دمشق. 29جـ، تحقيق روحية النحاس واخـــرون، ط1، دار الفكر، دمشق.
ابــن النديم، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب (1988)، الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، ط1 ، دار المعرفة، بيروت.
النويري، احمد بن عبد الوهاب (1985)، نهاية الأرب في فنون الأدب، 27جـ، تحقيق سعيد عاشور، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
الهمداني، عبد الجبار بن احمد (1987)، تثبيت دلال النبوة، واقع ضمن كتاب الجامع لاخبار القرمطة، دراسة وتحقيق سهيل زكار، ط 3 ،دار حسان، دمشق.
الهمدانــي، محمــد بن عبد الملك (1964)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الصقل ابراهيم ،،دار المعارف، القاهرة.
هنـتس،(1970) فالتر،المكايـيل والموازين الاسلامية وما يعادلها بالنظام المتري، ترجمة كـامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر.

الوالـــي،طه (1981)، القـــرامطة اول حـــركة اشـــتراكية فـــي الاســـلام، ط1،دار العلم للملاين،بيروت.

ابـــن الوردي، زين الدين عمر ابن المظفر، (1969)، تاريخ ابن الوردي، 2جـ، ط2، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف.

عبدالله بن اسعد (1997)، مرآة الجنان و عبرة اليقظان، وضع حواشية خليل منصور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدال (1993)له، معجم الادباء ارشاد الاديب الي معرفة الاديب ، 7جـ ، تحقيق احسان عباس، ط1، دار المغرب الاسلامي، بيروت.

ياقوت الحموي (1979) معجم البلدان، 5جـ،ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت.

ابـــي يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (1983)، الاحكام السلطانية، صححة محمد حامد،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

اليمانـــي، ابـــو بكر بن محمد، غربال الزمان في وفيات الاعيان، صححه وعلق علية محمد ناجي العمر، اشراف عبد الرحمن الازياني، مطبعة زيد، دمشق.

اليوزبكـــي، توفيق سلطان،(1970)، الوزارة،نشأتها وتطورها في الدولة العباسية، مطبعة الارشاد، بغداد.

ب- المراجع باللغات الاجنبية

Bowen , Harlod, (1927).The life and times of 'Ali Ibn Isa' , The good vizer, Cambridge, London.

Sourdel, Dominige, (1960).Le vizirat Abbaside De 749A (132A 324 DE (Aeire), Vol.(2), Damascus.

Bowen, H.(1979). Ali Ibn Isa, E.1, Leiden, Vol. (1), PP.386 -388.

ملحق رقم (1)

نص كتاب الوزير علي بن عيسى في إسقاط مال التكملة باقليم فارس

ملحق رقم (1) نسخة نص علي بن عيسى بن الجراح في إسقاط التكملة في إقليم فارس

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى النعمان بن عبد الله، سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد فإن افضل الأعمال قدرا أجملها ذكرا ،و أكملها أجرا ، واذخرها ذخرا ، ما كان للتقوى جامعا وللهدى تابعا وللورى نافعا وللبلوى دافعا وقد جعل الله أمير المؤمنين فيما استرعاه من أمور المسلمين مؤثرا ما يرضيه مثابرا على ما يزلف عنده ويحظيه ،وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، وعليه يتوكل وبه يستعين ." وقد عرفت حال السجزية والخرمية الذي تغلبوا على كور فارس وكرمان ، واستعملوا الجور والعدوان ،وأظهروا العتو والطغيان ، وانتهكوا المحارم ،وارتكبوا العظائم ، حتى أنفذ أمير المؤمنين جيوشه إليهم ، وتورد بها عليهم، فأزالهم وأبادهم ،وشتتهم وأبارهم بعد حروب تواصلت ووقائع تتابعت، أحل الله بهم فيها سطوته ،وعجّل لهم نقمته ، وجعلهم عبرة للمعتبرين،وعظة للمستمعين.{ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}.ولما محق الله أمر هؤلاء الكفار ،وفرّق عدد أوباشهم الفجار، وجد أمير المؤمنين أفظع ما اخترعوه ،وأشنع ما ابتدعوه، في مدتهم التي طال أملها ، وعظم ضررها، تكملة اجتبوها بكور فارس في سني بوايتهم لما طالبوا أهلها بالخراج على أوفر عبرتهم)، من غير اقتصار فيه على الموجوديـــــن ، حتى فضوا عليهم خراج ما خرب من ضيـــــاع المفقودين.

فأنكر أمير المؤمنين ما أستقر من هذا الرسم الذميم ، وأكبر ما استمر من هذا الرسم الذميم ، وأكبر ما أستمر به الظلم العظيم ورأى صيانة دولته عن قبيح معركته ، وحراسة رعيته من عظيم مضرته ،مع كثرته ووفروا جملته ، فأرفع الرعية هذه التكمة رفعا مشهورا ، فقد جعل الله من سنها مدحورا ، ونادى في المساجد الجامعة بإزالتهْ وإبطال جبايتها لينيع ذلك في الجمهور ، ويتمكن السكون إليه في الصدور ، ويحمد الله الكافه على ما أتاح الله لها من تعاطف أمير المؤمنين ورعايته ،وجميل

حياطته وعنايته ، وأجاب بما يكون منك في ذلك فإن أمير المؤمنين يتوفه ويراعيه ويتشوفه إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله . وكتب علي بن عيسى يوم الخميس النصف من رجب سنة ثلاثة وثلاثمائة .

ملحق رقم (2)

قائمة الوزير علي بن عيسى التي عملها لواردات الدولة العباسية لسنة 306هـ /918م

ملحق رقم (2) قائمة الوزير علي بن الجراح لواردات الدولة العباسية لسنة 306هـ/918م

أولا: جباية السواد:

1.847.734	دينار	أموال السواد وطساسيجه أراضي المغرب (أي الغرب) بالبصرة والمراكب بها وسائر ما ينسب اليها ويجري معها.
5343		وتفصيل ذلك ما يلي :
166.283		بادوريا وكلوذي ونهربين
198.313		الانبار وقطربل ، وسد
75.576		بهرسير ، والرمقان ، وايغار يقطين ، وجازرو المدينة العتيقة
25.000		كوثي ، ونهر درقيط
9.526		الزاب الأعلى ، ونهر كشتاسب
16.736		الفلوجه العليا ، والارحاء
13.585		الفلوجه السفلى ، والنهرين وعين التمر
140.259		السيب الاعلى ، وسورا، وبابل ، وخطرنيه ، وباروسما الأعلى
683,628		نهر اللمك ، ومورجان ، ونهر جوبر ، والاساسان ، والمالكيات
46.336		باروسما الاسفل
110.154		طساسجة الكوفة والخزن
50.219		العمارات بسر من راى
20.590		نهر بوق ، والدير الاسفل
24.300		بزر جسابور
20.035		الراذانان
13.666		روستقباد
46.480		النهراون الاعلى ، وسمنطاوي
40.327		النهروان الاوسط
60.532		النهروان الاسفل
159.089	دينار	الصلح والمنازل
42.499		بادوريا ، وباكسايا
310.720		واسط مع (الضياع) الخاصة والمستحدثة ،والعباسية بعد النفقات الراتبة
121.720		البصرة وكور دجلة
22.575		المراكب بالبصرة

يتبع........

42.750	أموال الضمانات وما يؤدي عن فصول الأنهار مما ينساب إلى المفردات.
80.250	العبارة بهيت
16.975	أسواق الغنم بمدينة السلام وسر من رأى ووسط الكوفة والبصرة
60.372	دور الضرب بمدينة السلام وسر من راى ووسط الكوفة والبصرة
16.000	الجوالى بمدينة السلام.
13.874 دينار	ما يؤدي إلى الحضرة عن مال الارتفاقات والجشر والمقاطعات
1.836.181 دينار	مجموع جباية السواد بخلاف ما جمعه زيدان حيث حصل خطأ في جمع قائمته قدره عشرة آلاف دينار زيادة عن المجموع الحقيقي ومع ذلك فهناك فرق كبير بين المجموع والمجمل المذكور في أول القائمة ، والظاهر ان السبب فيه يرجع الى خطأ في قراءة الأعداد في الأصل

ثانيا : جباية المشرق :

1.260.922 دينار	كور الأهواز ضمانا على ابراهيم بن عبد الله المسبع وغيره.
1.634.520	أموال فارس مع ما يسوقه مؤنس الخادم ، مع ما في أيدي أصحاب الأطراف ، مما يرد نفلا فقط .
258.040	ضياع الامراء بهذه النواحي مع مال المراكب بسيراف
364.380	كرمان مع ضياع الامر سوى مال العهد والورح (؟) وقرى المغازة وما يسوغه مؤنس الخادم عن مال الخزن والجهبذة.
80.000	مقاطعة عمان سوى اللطف (الهدايا) المحمولة الى الحضرة
6.570.525	ارتفاع الخراج والضياع العامة بالمشرق على العقد والارتفاع بالامانة والضمانة والخراج والاعشار والاخماس بالري والدوماوند مع مافيه مما استخرجه .
465.078	ابن دوادان واحمد بن علي
122.644	الضياع بها
	(قزوين وزنجان وابهر)
115.710	الخراج
758.290	الضياع
197.229	الخراج
80.229	الضياع

.........يتبع

	(اصفهان)
410.178	الخراج على العقد المجددة مع خراج الاكراد وما يفعل من الايغار وضياع السلطان .
189.334	الضياع بها
	(ماه البصرة والايغارين)
185.636	الخراج
267.520	الضياع
	(همدان)
150.480	الخراج
55.780	الضياع
	(ماسبذان)
57.476	الخراج
16.750	الضياع
17.625	ساوه ، ودار الضرب بها
105.678	ماء الكوفة بالخراج سوى الضياع الراسية والمستحدثة والطعم .
89.500	الضياع بها
30.150	خلوان عن الخراج والضياع
226.370	اذربيجان وارمينية على المعارفة التي فورقت عليها سبيل السعر
6.439.663 دينار	مجموع جباية المشرق

ثالثا : جباية المغرب :

4.746.492 دينار	مجمل ما يتعلق بالمغرب (ما يقع غرب دجلة من الولايات) وتفصيل ذلك كما يلي :
290.773	مصر والاسكندرية بعد الاحتسابات القديمة ، سوى مصادرة الماذرائيين ومال المرافق والتجارة واثمان الغنائم
1.080.000	جند فلسطين بعد الاحتسابات
80.750	مال (؟)
230.467	جند الأردن بعد الاحتسابات

يتبع.........

40.460	مال (؟)
102.062	(؟)
113.057	جند دمشق بعد الاحتسابات
315.300	مال
200.460	جند حمص بعض الاحتسابات
115.114	مال
133.097	جند قنسرين والعواصم بعد الاحتسابات
352.570	مال
15.765	دلوك ورعبان
52.985	الثغور الشامية سوى صلح احمد بن الحسين الكاتب
5.397	شمشاط وحصن منصور وكيسوم
65.332	مال
14.501	سميساط وملطية بعد الاحتسابات
34.120	مال
5.478	أمد سوى ما جمع من إقطاع وكاسة بعد الاحتسابات
82.422	مال
56.750	ارزن ، وميافارقين بعد الاحتسابات
82.422	مال
257.225	ديار مضر
22.797	ديار ربيعه
304.093	مال
17.750	الموصل ،وماردين ،وبهذراء، والرساتيق الجبلية بعد الاحتسابات
492.430	مال
96.584	طريق الفرات
4.660.341	دينار مجموع جباية المغرب

........يتبع

رابعا :جباية الأموال الخاصة :

289.036	دينار	الضياع المستحدثة بعد الذي جرى في ضمان واسط اسوة حال الخاصة	
519.447		أموال الخاصة سوى ما كان منها بنواحي واسط فأنه أضيف إلى أموال العامة وخلط بها ودخل في حمولتها ونفقاتها .	
		185.411	العبر
			الأهواز
		72.626	المشرق
		104.000	المغرب
18.778		هيث وأعمالها سوى ضياع السكر	
		8.340	العبر
		5.262	الأهواز
		58.450	المغرب
		62.200	المشرق
144.760		مال الضياع العباسية سوى ما هو بنواحي واسطا	
		14.732	العبر
		14.246	الأهواز
		30.672	المشرق
		75.116	المغرب
004.570		مال الموقوف للمساجد سوى ما كان منها بواسط	
		22.869	المشرق
		75.116	المغرب
617.126	دينار	مال الضياع الفراتية	
		170.226	العبر
		129.724	الأهواز
		97.336	فارس
		95.278	المشرق

100.318	مال الضياع المفردة في سنة ثلاث وثلاثمائة
76.980	مال الخزن والجهبذة ،سوى ما يجمعه العمال مع اصول الاموال وسوى ما يسوغه مؤنس الخادم منها بفارس وسوى ما دخل منها بضمان واسط
1.171.015	مجموع جباية الأموال الخاصة

الخلاصة :

1.836.181	دينار	جباية السواد
6.439.663	دينار	جباية المشرق
4.660.341	دينار	جباية المغرب
1.771.15	دينار	جباية الأموال الخاصة والأعمال المسماة والموقوفة وغيرها.

14.707.200 مجموع جباية الدولة حسب قائمة على بن عيسى سنة 306هـ/918م

ملحق رقم (3)

قائمة الوزير علي بن عيسى التي عملها لنفقات الدولة العباسية لسنة 306هـ /918م